نظرات ناقدة

في كتاب

منازل الحور العين

وكتبه

سليمان بن عبد الله البهيجي





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن الأمور المتقررة في النفوس السوية والمعلومة ضرورة، فلا تحتاج إلى إيضاح، ولا تفتقر إلى بيان؛ أن العبد مهما اتسع علمه وارتفع قدره وعلا شأنه معرض للخطأ متطرق إليه الزلل في قوله وفعله، ولذا نقلت أخطاء وتصويبات، وأثرت زلات وتراجعات كثير ممن ارتفعت في الأمة مكانتهم، وعلت في النفوس منزلتهم من أئمة الأمة الأجلّة وساداتها النُبل، ومن لهم لسان صدق فيها، ولم يضع ذلك من مكانتهم ولم يحط من منزلتهم!

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه

وإذا حصل هذا منهم - رحمهم الله - وهم هم في العلم والفقه والتحقيق والإتقان، فكيف يستبعد أن يقع الخطأ ممن دونهم بمراتب، ويستنكر أن يحصل الزلل ممن هو قاصر عنهم بمراحل، وهو معهم كبقل في أصول

نخل طوال[١]!

وليس العجب من أن يخطئ المرء ويزل؛ إذ إنه أمر طبعي لا يثير الغرابة ومسلّم بدهي لا يلفت النظر؛ إذ لا ينفك عنه بشر، ولكن العجب كل العجب ألا يُقر بالخطأ فيصر عليه[٢]، أو لا يعترف بخطئه، وكأنه محاط

---

(١) مأثور عن غير واحد ممن سلف. انظر ترجمة عمرو بن العلاء في تاريخ دمشق وفضائل القرآن للمستغفري (٣٧٣/١)، و«جامع البيان» في القراءات السبع» (١٨٠/١)، ومعرفة القراء (١٠٤/١)، و«موضح أوهام الجمع والتفريق» (١٢/١).

(٢) وقد ذكر لي أن المردود عليه بعد أن ظهرت هذه النظرات بمذكرة أخرج وريقات تدل على إصراره على هفواته، ودعا فيها للمباهلة مع إني أوضحت موقفي الشرعي من المباهلة في آخر كتاب الاستنفار، وهو مطبوع بحمد الله متداول.

تنبيه: منذُ عدة سنوات دعا للمباهلة بعض الرافضة المعاصرين كياسر الحبيب، وأجابهم إليها بعض أهل السنة وتباهلوا ولم يحصل لهم شيء، ولكن هل المحق في المباهلة بمعزل عن إصابته بالمرض والموت فتحول المباهلة بينه وبينهما؟ فنقول لا يمكن أن يموت أو يمرض خلال سنة، ولو مرض أو مات السني فهل نقول إن الرافضي محق؟ وليعتبر بما جاء في صحيح مسلم وغيره قالت عائشة - رضي الله عنها- عن حال النبي -ﷺ-: «كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»»، وقال الله عن الكفار: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢].

بسياج عالٍ منيع من العصمة، فلا يتطرق إليه خطأ ولا يعترضه زلل ولا يعتريه سهو، فالحق ما نطق والصواب ما كتب، وهذا محض تسويل الشيطان ووسوسته، وتلبيسه في سالف الدهر، وحديثه ودرجة من الغلو سافلة ومنزلة مقيتة.

ولما كان الخطأ واردًا على كل أحد صار تعديله وتصويبه وتبيينه وتصحيحه أمرًا ضروريًا لا محيد عنه، ومطلبًا جليلًا متحتمًا لا مناص منه.

ولقد اشتهر بين أهل العلم وتناقلوا مقولة ذهبية للإمام مالك - رحمه الله -: «ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر»(١).

ولو نظرنا في كتب السلف وسيرهم لوجدنا الشيء الكثير الذي يخدم هذا المبدأ النبيل، ويدل على هذا النهج السوي، فقد سدد أهل العلم بعضهم بعضًا وبينوا خطأ من أخطأ من العامة والخاصة بلا مداهنة ولا مواربة، وقوموه بدون محاباة ولا مجاملة، سواء بكلام نقل عنهم أو ضمن كتاب أو بكتاب مستقل، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم.

---

(١) يقصد به النبي -ﷺ-. ينظر «البداية و«النهاية»» لابن كثير (١٤/١٦٠)، و«السير» (١٨٧/٧)، و«زغل العلم» ص ٣٣ للذهبي، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/٢٠٠)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (٢/١٤٠)، و«الأسرار المرفوعة» للقاري (ص٢٦٢).

فهذا الإمام أبو عبد الله الحاكم - رحمه الله- يستدرك على إمامي الفن (البخاري ومسلم) عليهما رحمة الله بعض الأحاديث ويضع لها مؤلفًا ضخما مستقلًا، وأتى بعده الذهبي - رحمه الله- فتعقبه على بعض استدراكاته(١)، والإمام أبو الحسن الدارقطني وضع كتابه «الإلزامات والتتبع» على كتابي البخاري ومسلم -رحمهم الله-، وأبو الحسن ابن القطان يؤلف كتابًا ضخمًا سماه «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام»(٢)، وابن التركماني يؤلف كتابه «الجوهر النقي في الرد على البيهقي» فيه استدراكات واعتراضات على البيهقي في سننه الكبرى.

وهذه مجرد أمثلة سريعة في علم الحديث، والأمر واضح مشهور وواقع مشاهد لا يحتاج إلى إطالة كلام وإيراد كثير شواهد، ولا زال أهل العلم والتحقيق يتعقبون ويسدون الخلل ويصلحون العيب والزلل بلا نكير وكتبهم به زاخرة.

وأما الرد على أصحاب البدع والأهواء وكشف أهل الضلال والانحراف، فشأن السلف فيه معروف، وحثهم عليه مشهور ومألوف؛ بل

---

(١) فائدة: الذهبي في التلخيص إما يوافق الحاكم أو يخالفه أو يسكت، وبعضهم يرى أن سكوته يعتبر موافقة وهذا خطأ، أوضحه وجلاه الأخ خالد الدريس في كتابه «الإيضاح الجلي في نقد مقولة: صححه الحاكم ووافقه الذهبي» وهو مطبوع بحمد الله متداول.

(٢) «الأحكام الوسطى» لابن الخراط.

جعلوه من الجهاد قال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية - رحمه الله -: (الرد على أهل البدع مجاهدة)[١]، وقال تلميذه أبو عبد الله شمس الدين بن القيم - رحمه الله -: (فكشف عورات هؤلاء وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم من أفضل الجهاد في سبيل الله)[٢].

وقيل لسفيان بن عيينة -رحمه الله-: إن هذا يتكلم في القدر - إبراهيم بن أبي يحيى – قال: عرفوا الناس أمره واسألوا ربكم العافية[٣].

وقال القرافي: (أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يشهر في الناس فسادها وعيبها، وأنهم على غير الصواب؛ ليحذرها الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها، وينفر عن تلك المفاسد ما أمكن)[٤].

وهذه الأقوال وشبهها كثير[٥] تدل دلالة واضحة على حرص سلفنا - رحمهم الله- وعنايتهم وشدة يقظتهم لإيصاد باب البدع والاهتمام بإغلاقه، وإن لم يقصد من جاء عنه الخطأ ذلك، فربما دعا بعض الناس عن جهل وحسن قصد وصلاح نية وسلامة طوية إلى قول أو عمل أو اعتقاد فيه، فتح لباب عظيم من أبواب البدع والضلال، فحسن النية وشرف القصد ليس

(١) «الفتاوى» (١٣/٤).
(٢) «الصواعق المرسلة» (٣٠٠/١).
(٣) «تلبيس إبليس» (ص١٧).
(٤) «الفروق» (٢٠٧/٤).
(٥) نقلت في كتابي السيف الباتر بعض أقوال أهل العلم في أهمية الرد على أهل البدع.

مانعًا من الزلل ولا كفيلًا بتصحيح الخطأ وتصويبه، فالخطأ خطأ حسنت نية صاحبه أو فسدت.

فحينها يتوجب على من رزقه الله علمًا أن يدافع عن الشريعة ويذب عن حياضها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويبوح بما لديه ويظهر ما عنده نصحًا لأمته، وبراءة لذمته وصيانة للشريعة الغراء وحماية لجانبها، وبلاغًا لقوم يعقلون، مقتفيًا أثر السلف سالكًا سبيلهم.

ثم من المعلوم أن من أخطر الفرق الضالة المعاصرة التي ينتشر ضلالها، ويخيم ظلامها في ربوع كثير من البلاد الصوفية المقيتة[١] بفرقها المتعددة، وضلالاتها المتنوعة التي توارثها القوم، وزادوا عليها يومًا بعد يوم.

ولقد عمل أهل السنة -بارك الله في جهودهم- في تلك البلاد لمحاربتها وصد زحفها، واجتهدوا في قمعها وكف شرها، وبذلوا العلم لترشيد أهل الإسلام بتبيين ضلالها وإظهار زيفها.

والنبيه العاقل لا يستهين بيسير بداية الشر وضعفه؛ بل ينظر إلى نهايته وما يؤول إليه.

فإن النار بالعودين تذكى وأن الحرب مبدؤها كلام

---

(١) المقصود الصوفية المعاصرة بغض النظر عن نشأة التصوف وتقسيم المتصوفة القدامى، كما إذا قلنا الرافضة بجميع طوائفها فالمقصود الرافضة المعاصرة بغض النظر عن بداية التشيع وتقسيم الشيعة، والله أعلم.

ولقد وقعت في يدي نسخة مطبوعة لكتاب «منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين»[١]، ولما اطلعت على ما فيه ونظرت إلى ما حواه ظهر لي أن عليه مسحة التصوف الممقوت ظاهرة، وسطر فيه أخطاء وهفوات لابد من الوقوف عندها، وكشفها وبيان وجه الصواب فيها؛ ليظهر الحق لطالبه، ويتضح الصواب المبتغية، ويدرأ الاغترار بما كتبه، فسجلت هذه النظرات[٢].

أسأل الله أن ينفع بها ويتقبلها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) وكان ذلك في منتصف عام ١٤٢٦هـ.

(٢) لقد استطاب بعض الناس واستصوب عدم الانشغال بمثل هذه الأمور، زاعما أن في الأمة من الجراح النازفة ما يكون به شغلا عن هذه المسائل والمراجعة فيها، واستحسن قوله بعضهم مع أنه لا يوافق على هذا القول حيث إن النبي الكريم -ﷺ- كان يقرر الشرع بكل مسائله مما لازمه الاختلاف في الفهم والتلقي، وفي نفس الوقت يجاهد الوثنية المخيمة في ربوع الجزيرة، وهكذا سلك الصحابة مع اتساع رقعة الفتوحات في وقتهم، وسار بسيرهم من بعدهم، فما كان الجهاد يستوقف مطارحة الآراء وقبول الصواب ورد الأخطاء، ومن نظر في كتب القوم وعرف عصرهم وما يدور فيه لاحت له هذه الحقيقة وعلمها، ولم يكن أحد يتفوه بمثل هذا الكلام، والعجيب أن هذا السلاح الكسير استعمله بعض الكتاب المغموزين وجال به وصال. انظر لذلك مثال كتاب «البيان لأخطاء بعض الكُتَّاب» لصالح الفوزان (ص٣٠٤).

وكتب

سليمان بن عبد الله البهيجي

القصيم - بريدة

قبل طرح النظرات الناقدة إلى صفحات الكتاب ألقي نظرات عامة:

النظرة الأولى

النزاهة والأمانة العلمية من الأخلاق السامية، والصفات النبيلة التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم سالكًا مسلك السلف الذين نقلوا العلم بدقة فائقة، وهي من حق القارئ والمتلقي على الكاتب والملقي، فإذا ذكر الكاتب ونقل نقلًا خاطئًا أو محرفًا لأجل أن يتسق المنقول مع ما يورده فقد كذب؛ بل دلس ولبس وخان القارئ، ونادى على نفسه بأن يرفض قوله ولا يلتفت إلى نقله.

ولاختلاف الطبعات وتعددها وضيق الوقت صعب علي النظر في كل ما نقله الكاتب، وقد نظرت إلى بعض المواضع التي نقلها عن ابن القيم -رحمه الله-، فوقعت على مواضع جانب الكاتب فيها الأمانة العلمية منها ما نقله على وجه يتفق مع مراده ويتسق مع فكرته:

١- في الصفحة السادسة والصفحة الثانية والخمسين نقل الكاتب قول ابن القيم من «مدارج السالكين»: «الشوق إلى مجرد الأكل والشرب والحور العين في الجنة ناقص جدًا بالنسبة إلى شوق المحبين لله -تعالى- بل لا نسبة له إليه البتة».

هذا الجزء من كلام ابن القيم -رحمه الله- يوافق فكرة الكاتب ويتفق مع مراده، ولكن إذا نظرنا إلى ما سبقه من الكلام الذي أسقطه الكاتب يظهر خلاف ذلك تمامًا، والمحذوف هو «<u>والشوق إلى الله لا ينافي الشوق إلى</u>

الجنـة، فـإن أطيـب مـا فـي الجنـة قربـه -تعـالى- ورؤيتـه وسـماع كلامـه ورضاه».

ثم قال - رحمه الله-: «نعم الشوق إلى مجرد الأكل والشرب والحور العين في الجنة ناقص جدًا بالنسبة إلى شوق المحبين لله بل لا نسبة له إليه البتة».

فواضح إذا اجتمع كلام ابن القيم -رحمه الله- أن الاشتياق إلى الجنة لا ينافي الاشتياق إلى الله، وأن من فعل هذا لا يلام، وهذا ما لا يريده الكاتب فحذفه، والله المستعان.

٢- نقل الكاتب في الصفحة السابعة قول ابن القيم: «أنه لا يقطعه عن طلب مَن نسبة هذا النعيم الدائم - يعني الحور العين ومآكل الجنة ومشاربها ومساكنها- إلى نعيم معرفته ومحبته والأنس به والفرح بقربه، كنسبة نعيم الدنيا إلى نعيم الجنة».

ترك الكاتب نقل أول كلام ابن القيم وهو: «ومن حدق عين بصيرته في الدنيا والآخرة علم أن الأمر كذلك، فكيف يليق بصحيح العقل والمعرفة أن يقطعه أمل من هذا الجزء الحقير عن نعيم لا يزول ولا يضمحل؟ فضلًا أن يقطعه عن طلب ...».

إذًا فكلام ابن القيم فيمن تعلق من الدنيا بشيء يقطعه عن الجنة ونعيمها.

٣- نقل الكاتب في الصفحة الرابعة والأربعين قول ابن القيم: «فهو لذاته

مستحق للعبادة، ولا يكون العبد كأجير السوء إن أعطي أجرة عمل...».

وحذف الكاتب كلمة: (قالوا) فصار القول كأنه لابن القيم، وصحيح اللفظ: «فهو لذاته مستحق للعبادة قالوا ولا يكون العبد كأجير السوء أن أعطي أجرة عمل...».

٤- قال الكاتب في الصفحة الثانية: جاء في «روضة المحبين» (ص ٤٣٨) للإمام ابن القيم -رحمه الله- أن الله -تعالى- أوحى إلى داود عليه السلام: «قل لشبان بني إسرائيل:...»[١].

وحذف الكاتب قول ابن القيم قبله: (وقيل) فصار ابن القيم جازمًا بنسبة هذا الأثر.

٥- قال الكاتب في الصفحة السادسة والأربعين: ولذلك يقول ابن القيم -رحمه الله-: «المحبة المقصورة على إحسان الرب على عبده هي محبة العوام؛ لأن منشأها من الأفعال لا من الصفات والجمال...».

وقول ابن القيم في طريق الهجرتين هكذا: «وإنما كانت هذه محبة العوام عنده[٢]؛ لأن منشأها من الأفعال لا من الصفات والجمال...» فحذف لفظة (عنده) فصار الكلام لابن القيم.

---

(١) ليس له إسناد. وإنما أورده بدون إسناد وبصيغة التمريض. «القشيري في رسالته» (٤٩٩/٢).

(٢) أي الأنصاري.

٦- نقل الكاتب في الصفحة التاسعة والأربعين قول ابن القيم: «...واشتاق إلى لقائه واستحيا منه وأجله وعظمه على قدر معرفته به؛ والمعرفة حياة القلب مع الله ومجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست:...».

وفي مدارج السالكين كلام طويل أخذ صفحات بين لفظ (حياة القلب مع الله)، ولفظ (ومجالسة العارف) لم يشر إلى إسقاطها الكاتب.

وأيضًا ابن القيم قال: (قالوا) ومجالسة العارف، فحذف الكاتب كلمة قالوا، فصار الكلام لابن القيم.

٧- في الصفحة الثامنة أسقط الكاتب كلامًا دون الإشارة إلى ذلك حيث نقل الكاتب قول الدارمي: «احتجب من خلقه ليبلو بذلك إيمانهم أيهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ولم يره، وإنما يجزي العباد على إيمانهم بالغيب».

وكلام الدارمي في رده على الجهمية هكذا: «واحتجب من خلقه بحجب النار والظلمة، كما جاءت به الآثار، ثم أرسل إليهم رسله، يعرفهم نفسه بصفاته المقدسة، ليبلو بذلك إيمانهم أيهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ولم يره».

٨- نقل الكاتب في الصفحة الخامسة والأربعين قول ابن القيم: «ومعلوم أن هذا مسكن خاصة الخاصة وسادات العارفين، فسؤالهم إياه ليس علة ولا قدحًا فيه».

وهو في مدارج السالكين هكذا: «ومعلوم أن هذا مسكن خاصة الخاصة،

وسادات العارفين، فسؤالهم إياه ليس علة في عبوديتهم، ولا قدحًا فيها».

النظرة الثانية

من المتحتم على الباحث شدة العناية بما يورده من الأحاديث، فلا يورد ولا يستدل بضعافها ومعلولها، ولا يذكر ويحتج بموضوعها ومصنوعها.

كما يتأكد على الباحث الاهتمام بأسانيد الآثار، فلا يشيع الآثار الضعيفة، ولا يذيع الأقوال الواهية، وكذا لا بد من نظر ثاقب لما تحويه متونها ومدى موافقته للكتاب والسنة؛ إذ إن أصحابها ليسوا معصومين.

وحين أهمل طوائف من الناس ذلك سادت بينهم تصورات ضالة، وانتشرت في أوساطهم أحكام خاطئة، وعملت أعمال على غير هدى، والمتعالم منهم يطرح مسألة الاحتجاج بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بلا علم ومعرفة لأغوارها وبدون إدراك وفهم لأبعادها.

وفي الكتاب المردود عليه شاهد لذلك، ولو تتبعت ما فيه لخرجت عن المقصود، ولطال بنا المقام ولكن أذكر أمثلة:

١- ذكر في الصفحة العشرين حديث: «بينا أهل الجنة في نعيمهم...»(١)، واستشهد به في موضعين آخرين من الكتاب(٢)، وهذا الحديث رواه

---

(١) قال الكاتب في الحاشية: رواه ابن ماجة رقم (١٨٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) كما في (ص٢٣)، و(ص٣٣).

أبو عاصم العبّاداني، ثنا الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به مرفوعًا (١).

وفي سنده الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، قال عنه أيوب: لو ولد أخرس كان خيرًا له(٢).

وقال أبو سلمة: لم يكن أحد ممن تكلم في القدر أخبث قولًا من الفضل بن عيسى الرقاشي(٣) .

---

(١) كما عند ابن عدي في «الكامل»(٧/١٢٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (ص ٢٦٢)، والآجري في «الشريعة» (٢/١٠٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٠٨)، و«صفة الجنة» (١/١١٨)، و«ابن بشران في أماليه» (رقم ١٦٣ و ١٤٥١)، وابن ماجة في «سننه» (رقم ١٨٤)، والتيمي في «الحجة» (٢/٢٥٦)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١٢٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص ١٠٦)، واللالكائي في «شرح أصول معتقد أهل السنة والجماعة» (٣/٥٣٤)، والدارقطني في «الرؤية» (ص٣٥٩)، والبغوي في «التفسير» (٧/٢٣)، والبزار في «كشف الأستار» (٣/٦٧) وقال: لا نعلمه يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد. والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٩٤) وقال: لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٢٦١) وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله -ﷺ- .ا هـ. وقد ضعف هذا الحديث الذهبي في «العلو للعلي الغفار» (ص٢٣).

(٢) «سؤالات أبي داوود للإمام أحمد» (ص١٩٢)، و«الضعفاء» للعقيلي (٣/٤٤٢)، و«الجرح والتعديل» (٧/٦٤)، و«الكامل» لابن عدي (٧/١١٩).

(٣) «الضعفاء» للعقيلي (٣/٤٤٢).

وقال ابن عيينة: كان قدريًا، وكان أهلًا أن لا يروى عنه[١]، وقال: لا شيء[٢].

وقال يحيى بن معين: كان رجل سوء قدري[٣]، وقال: كان قاصًا، وكان رجل سوء، قال: قلت- ابن أبي خيثمة-: فحديثه؟ قال: لا تسل عن القدري الخبيث[٤].

وقال الإمام أحمد: ضعيف[٥].

وقال أبو حاتم: في حديثه بعض الوهن وهو منكر الحديث ليس بقوي، وقال أبو زرعة منكر الحديث[٦].

وقال ابن حبان: روى عنه أهل البصرة، وكان قدريًا داعية إلى القدر، وكان يقص بالبصرة ممن يروي المناكير عن المشاهير[٧].

وقال ابن عدي بعد أن ذكر بعض مروياته: وللفضل بن عيسى غير ما

---

(١) «الضعفاء» للعقيلي (٣/٤٤٢) و«الكامل» لابن عدي (٧/١١٩).
(٢) «الجرح والتعديل» (٧/٦٤).
(٣) «التاريخ برواية الدوري» (٤/٢٦٤).
(٤) «الجرح والتعديل» (٧/٦٤).
(٥) «الجرح والتعديل» (٧/٦٤).
(٦) «الجرح والتعديل» (٧/٦٤).
(٧) «المجروحين» (٢/٢١١).

ذكرت من الحديث والضعف بين عَلَى ما يرويه[١].

وقال أبو داود: كان هالكًا[٢].

وقال النسائي: ضعيف، وقال في موضع آخر: ليس بثقة[٣].

وذكره كل من البخاري[٤]، والنسائي[٥]، وابن شاهين[٦]، وأبو نعيم[٧]، وابن الجوزي[٨] في الضعفاء.

مع ما في أبو عاصم عبد الله بن عبيد الله العبّاداني من كلام.

٢ـ قال الكاتب في هامش الصفحة الثالثة والأربعين: «وقد جاء عنه -ﷺ- أنه قال: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[٩].

---

(١) «الكامل» لابن عدي (١١٩/٧).

(٢) تهذيب الكمال (٢٤٧/٢٣).

(٣) تهذيب الكمال (٢٤٧/٢٣).

(٤) ترجمة ٣١١.

(٥) ترجمة ٤٩٢.

(٦) ترجمة ٥٠٣.

(٧) ترجمة ١٨٨.

(٨) ترجمة ٢٧١٣.

(٩) قال في الحاشية: رواه ابن ماجه (برقم ١٣٣٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قلت: ورواه البيهقي في «الشعب» (٤٧١/٤)، والشجري في «الأمالي» (٢٧٤/١)، والآجري في «فضل قيام الليل» (ص٨٨)، والصوري في «الفوائد=

وهذا حديث مشهور أنه موضوع يعرف ذلك لأول وهلة من له أدنى معرفة بعلم الحديث!

قال الحاكم: «هذا ثابت بن موسى الزاهد دخل على شريك بن عبد الله القاضي والمستملي بين يديه، وشريك يقول: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ - ولم يذكر المتن، فلما نظر إلى ثابت بن موسى قال: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. وإنما أراد بذلك ثابت بن موسى لزهده وورعه، فظن ثابت بن موسى أنه روى الحديث مرفوعًا بهذا الإسناد، فكان ثابت بن موسى يحدث به عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، وليس لهذا الحديث أصل إلا من هذا الوجه، وعن قوم من المجروحين سرقوه من ثابت بن موسى فرووه عن شريك»(١).

وقال القاضي أبو محمد ابن عطية: «وهذا حديث غلط فيه ثابت بن موسى الزاهد، سمع شريك بن عبد الله يقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان

= الحسان» (ص ٨٢)، والخطيب في «تاريخه» وتمام في «فوائده» (١٢٨/٢)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص٥٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٢/١)، وابن عدي في «كامله» (٣٠٤/٢ و٢٠١/٣ و١١/٧ و٥٦٨/٧ و٦٥/٨)، وأوضح وضعه ونكارته العقيلي في «الضعفاء» (١٧٦/١) وقال: لا أصل له. ا هـ.

(١) «المدخل إلى الإكليل» (ص٥٥).

عن جابر، ثم نزع شريك لما رأى ثابتًا الزاهد فقال: يعنيه من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت أن هذا الكلام متركب على السند المذكور فحدث به عن شريك»[١].

وقال ابن العربي: «ودسه قوم في حديث النبي - ﷺ - على وجه الغلط، وليس للنبي - ﷺ - فيه ذكر بحرف:[٢].

وقال أبو عبد الله الصوري::والجملة في هذا الحديث أنه ليس بذي أصل، ولا يثبت عند الحفاظ من أهل النقل، ولا يصح عند ذوي المعرفة والفضل، وكل من حدث به عن شريك فهو غير ثقة ولا مأمون، نسأل الله حسن السلامة وسلوك سبيل الهدى والاستقامة إنه على ذلك قدير»[٣] .

٣- قال الكاتب في الصفحة الثالثة: «حيث قال سبحانه في الأثر: »لو لم أخلق جنة ولا نارًا ألم أكن أهلًا أن أعبد».

وهو أثر موضوع لا أصل له ولا إسناد، وذكر الكاتب في الحاشية أن ابن القيم وشيخ الإسلام ذكراه في بعض كتبهم، ثم اعتبر الكاتب هذا العزو تخريجًا للأثر حيث احتج به مرة أخرى في الصفحة الحادية والعشرين، وقال في الحاشية: تقدم ذكره وتخريجه.

---

(١) ابن عطية «المحرر الوجيز» (١٤١/٥).
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (١١٤/٤).
(٣) «الفوائد المنتقاة» للصوري (ص١١١) فقرة (٥٠).

فهل سمع سامع أن العزو لمثل كتب شيخ الإسلام وابن القيم يعتبر تخريجًا للحديث(١).

---

(١) **فائدة:** الناظر في مصطلح التخريج عند أهل هذا الفن يجد أنه يطلق على ستة معانٍ هي:

١- رواية الأحاديث مسندة بحيث يظهر مصدره فيه أي رووه في مصنفاتهم عن شيوخهم، فإذا قيل تخريج فلان فمقصودهم روايته مثل: مشيخة ابن عبد الدائم تخريج البرزالي ومشيخة أبي بكر البزاز تخريج أبي محمد الأخضر، والفوائد المنتخبة للمهرواني تخريج الخطيب البغدادي، وقد استخدم هذا اللفظ بعض العلماء كابن رجب في جامع العلوم والحكم، والبغوي في شرح السنة فيقولون: خرجه فلان أو أخرجه فلان.

وقد يستبدل أهل الحديث أحيانا مصطلح التخريج بمصطلح الرواية، وهو كثير، مثل: مسند ابن الجعد رواية البغوي، وفوائد يحيى بن معين رواية المروزي، وجزء ابن إيهاب المري برواية الدمشقي، وقد يطلقون مصطلح الإنتقاء مثل: حديث أبي طاهر انتقاء الدَّارَقُطْنِيّ، وأحاديث ابن حبان انتقاء ابن مردويه.

وقد يطلقون مصطلح المنتخب مثل: انتخاب الصوري على العلوي، ومنتخب عبد بن حميد للشاشي.

٢- يقصدون بالتخريج عزو الحديث إلى مصادره الأصلية مع ذكر موجز ومبسط لأحوال السند مثل: الصحاح والغرائب لعبد الرحمن الشافعي، وعوالي المجيزين للمراغي كلاهما تخريج ابن حجر.

وقد يطلقون على هذا النوع رواية مثل: أربعون حديثا لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رواها عنه جماعة منهم الذهبي.

وقد يطلقون عليه جمعا مثل: أربعون حديثا من مسند بُريد جمع الدَّارَقُطْنِيّ .

٣- ويطلقون التخريج ويقصدون به تأليف الكتاب، فيقولون فلان أخرج لنفسه معجما مثل: معاجم الطبراني الثلاثة، ومعجم الصحابة لابن قانع، ومعجم الشيوخ للذهبي. =

النظرة الثالثة

القصص من أعظم وسائل التذكير وأهم أسباب الاعتبار قال سبحانه: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(١). وقال: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾(٢)، فللقصص تأثيرها العجيب في القلوب ولها مسكن مكين في النفوس وكثرت القصص في كتاب الله وتكررت، وبها يثبت الله من شاء من عباده وأمر الله نبيه -ﷺ- أن يقص القصص، ولذا طفحت دواوين السنة بالقصص، ولقد اعتنى العدو في غزوه البارد المنظم للمسلمين بالقصة وأولاها اهتمامه؛ لعلمه بأثرها وتأثيرها، فأذاع القصة الهابطة وأشاع الحكاية الساقطة لأهداف سوء معروفة، ومقاصد فاسدة

٤- يطلقون التخريج ويقصدون انتقاء الغرائب أو الصحاح أو كليهما وبيان من أوردها من المتقدمين مثل: الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب لأبي القاسم المهرواني تخريج الخطيب، وكذا الفوائد المنتخبة الصحاح العوالي لجعفر السراج تخريج الخطيب.

٥- جمع المحدث جملة من الأحاديث وسياقها من مروياته أو من مرويات شيوخه، ومن ثم يتكلم عليها ويعزوها لمن رواها، وهذا النوع يوجد غالبا في التراجم و«السير» ويمثل له: بشرح السنة للبغوي، و«السنن الكبرى» للبيهقي.

وقد يسمى هذا النوع استخراجا مثل: المختارة للمقدسي.

٦- التخريج عند المعاصرين هو العمل على عزو الأحاديث لمصادرها وبيان مرتبتها، وقد لا يلتزم المخرج بيان درجتها.

(١) [الأعراف:١٧٦].

(٢) [يوسف:١١١].

مكشوفة، وصاغها على شكل تمثيل مشاهد أو مسموع، وعلى هيئة رواية مقرؤة، وأوردها بأسلوب مشوق وطرح جاذب.

والسلف يوردون أحيانًا في كتبهم بعض القصص بعد إيرادهم أدلة الكتاب والسنة والآثار، فتكون مصحوبة بالأدلة.

والقصص يختلف تأثيرها باختلاف سياقها ولمن حصلت له، فليست القصة التي تحصل لأهل العلم والدين النبهاء كالقصة التي تحصل لجاهل أو مجهول أو سفيه أو مجنون.

ولابد أن تخضع القصص المأثورة والحكايات المنقولة للتحقيق والتمحيص والنقد العلمي المؤصل الرصين لأسانيدها ومتونها، فمهما بلغ صاحب القصة من الزهد والورع والتنسك والتقى؛ فليس قصصه بحجة ولا يرتفع عن النقد والمراجعة.

وقد ذكر الكاتب بعض قصص المتصوفة من جوار مجهولات وبعض الجن محاولًا تدعيم فكرته وترسيخها في النفوس بهذه القصص، وهي متكأ ضعيف ومستند واهٍ سخيف.

وهي قصص إن صحت تدل على ضعف من حصلت له وانحرافه؛ إذ فيها ملاحظات عدة فمثلًا:

١- ذكر الكاتب في الصفحة الرابعة والخمسين عن ذي النون

المصري[١] قال: «بينما أنا أسير على ساحل البحر؛ إذ أبصرت بجارية عليها أطمار شعر، وإذا هي ذابلة ناحلة، فدنوت منها لأسمع ما تقول...»[٢].

فيقال:

أولًا: السند لا يصح.

ثانيًا: المتن مخالف للشريعة؛ إذ معلوم أن الخلوة بالأجنبية أمر محرم دل على تحريمه قول الرسول -ﷺ-: «لا يخلونّ رجل بامرأة»[٣] في أحاديث كثيرة، وهي معلومة مشهورة معروفة، فمَن الذي أباح لذي النون المصري أن يخلو بهذه الجارية بحجة سماع قولها، وهل هذا دليل إباحة؟ وهل هذه ضرورة؟ ألم يقل المصطفى -ﷺ- للصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه- حينما سأله عن نظر الفجأة قال: «**اصرف بصرك فإن لك الأولى وليست لك الثانية**»[٤]، فهي قصة ساقطة مطعون بها رواية ودراية!

---

(١) قال شيخ الإسلام: مع أن ذا النون قد وقع منه كلام أنكر عليه، وعزره الحارث بن مسكين، وطلبه المتوكل إلى بغداد واتهم بالزندقة، وجعله الناس من الفلاسفة «الفتاوى» (١١/٣٩٢-٣٩٣).

(٢) عزاها الكاتب لـ«صفة الصفوة» وهي فيه بدون إسناد وهي في مصارع العشاق (١/٢٧٤) بإسناد مسلسل بالمجاهيل .

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم في «صحيحه».

٢ـ قال الكاتب في الصفحة الرابعة والسبعين: «قال الإمام الجنيد ـ رحمه الله : حججت على الوحدة فجاوَرْتُ بِمَكة، فكنتُ إذا جَنَّ الليل دخلت الطواف، فإذا أنا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحبّ أن يخفى وكم قد كتمتُه فأصبح عندي قد أناخَ وطنَّبا

إذا اشتدّ شوقي هام قلبي بذكْرهِ وإنْ رُمْتُ قربًا من حبيبي تقرّبا

قال: فقلت لها: يا جارية أما تتقين الله ـتعالى-؟!، في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام؟!، فالتفتتْ إليّ وقالت: يا جنيد!:

لَوْلاَ التُّقى لَمْ تَرَني أهْجُرُ طِيبَ الوَسَنِ

إنَّ التُّقَى شَرّدَني كَمَا ترَى عَنْ وَطَنِي

أفِرُّ مِنْ وَجْدي بِهِ فَحُبُّهُ هَيَّمَنِي

ثم قالت: يا جنيد!، تطوف بالبيت أم برب البيت؟!، فقلت: أطوف بالبيت؛ فرفعتْ رأسها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلْقٌ كالأحجار يطوفون بالأحجار!. ثم أنشأتْ تقول:

يطوفونَ بالأحجارِ يَبْغونَ قُرْبةً إليكَ وهُمْ أقسى قلوبًا مِنَ الصَّخْر

وتاهوا فلمْ يدْروا مِنَ التِّيهِ مَنْ هُمُ وخلُّوا محلّ القُربِ في باطنِ الفكْرِ

فلَوْ أخلصوا في الوُدِّ غابَتْ صِفاتهم وقامتْ صِفاتُ الوُدِّ للحقِّ بالذِّكر

قال الجنيد: فغُشي عليّ من قولها!، فلما أفقتُ لم أرَها»[1].

فيقال:

---

(١) عزاها الكاتب لـ«صفة الصفوة»، وهي فيه بدون إسناد ولم أجدها في غيره

أولًا: لا يوجد إسناد لهذه القصة

ثانيا: المتن منكر من القول وزور، فكون الجارية تذكر أبيات غزلية بحيث من يسمعها ينكرها وهي تقصد بها المولى - سبحانه-، فهذا جهل وضلال؛ بل زندقة وإلحاد - تعالى- الله عما يعتقده المتصوفة ويقولونه ويتناقلونه علوًا كبيرًا.

قال ابن الجوزي: «ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة، فادعى عشق الحق والهيمان فيه، فكأنهم تخايلوا شخصًا مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة»[١] .

فهي قصة مطعون بها رواية ودراية.

النظرة الرابعة

لقد جاء محمد -ﷺ- برسالته الكاملة وشريعته التامة التي من أبرز صفاتها صلاحها لكل زمان ومكان، وشمولها لحياة المكلفين، وتناولها أحكامهم في حلهم وترحالهم، وفي حياتهم وموتهم، ويقظتهم ومنامهم، حتى شملت جميع

(١) «تلبيس إبليس» (ص٢٠٣). ينظر «مصرع التصوف» (١٠١/١)، و«التصوف المنشأ والمصدر» (١٢٦/١)، و«دراسات في التصوف» (٢٠٦/١-٢٢٦).

أنحاء حياة المسلم، فقد جعلت الشريعة الغراء للرؤى والأحلام أحكامًا تضبط بها، فلم يجعلها الشارع مصدرًا من مصادر التشريع من غير النبي -ﷺ-، وقد تكلم أهل العلم في موضوع المنامات والرؤى، وفصلوا القول فيه وذكروا شيئا منها من باب الاستئناس والاستشهاد، ومن المعلوم أن الشخص إذا تعلق قلبه بشيء في اليقظة فغالبًا ما يراه في المنام وهذا أمر مشاهد محسوس!

وقد أورد الكاتب منامات وأحلامًا لبعض المتصوفة حول موضوع الكتاب، وهذه ليست بشيء؛ إذ باستطاعة كل أحد صنف في موضوع ما أن يجمع بعض مرائي من كثر لهجهم بذكر ذلك الموضوع وتعلقت قلوبهم به، فالذي يقول مثلًا: إن همة المجاهدين والعبّاد مضاجعة الحور العين في الجنة، يستطيع أن يأتي ببعض القصص والرؤى التي يذكرها من صنف في الجهاد والزهد والرقاق.

ومما أورده الكاتب:

١ـ قوله في الصفحة الحادية والخمسين: «ورأى إبراهيم بن أدهم في المنام كأن جبريل ـ عليه السلام ـ قد نزل إلى الأرض، فقال له إبراهيم: لم نزلت إلى الأرض، قال: لأكتب المحبين. قال: مثل من؟! قال: مثل مالك بن دينار وثابت البناني وأيوب السختياني، وعد جماعات. قال إبراهيم: أنا منهم؟! قال: لا؛ فقلت: فإذا كتبتهم فاكتب

تحتهم: محب للمحبين. قال: فنزل الوحي: أكتبه أولهم!»[١].

هكذا جزم الكاتب بنسبتها لابن أدهم مع ما في سندها من جهالة وانقطاع.

٢- قال الكاتب في الصفحة الحادية والخمسين: (وقال عبد العزيز بن محمد: رأيت فيما يرى النائم كأن قائلًا يقول: من يحضر من يحضر؟!؛ فأتيته، فقال لي: ما تريد؟!، فقلت: سمعتك تقول: من يحضر من يحضر؟!، فأتيتك أسألك عن معنى كلامك، فقال لي: أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأولياء، فأدرك فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه، قال: فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول:

ما نال عبد من الرحمن منزلة أعلى من الشوق إن الشوق محمود!

قال: ثم سلم ونزل؛ فقلت لرجل إلى جنبي: من هذا؟ فقال: أما تعرفه؟! فقلت: لا؛ فقال: هذا داود الطائي؛ فعجبت في منامي منه، فقال: أتعجب مما رأيت!، والله للذي لداود عند الله أعظم من هذا وأكثر!)[٢].

هكذا جزم الكاتب بنسبتها لعبد العزيز مع ما في سندها من جهالة وانقطاع!

---

(١) قال في الحاشية: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٢/ ٣٤) . قلت: وهو فيها ومن طريقه رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠١/٥٦، وذكرها في مسالك الأبصار (٣٣/٨) وسندها قال أبو نعيم: حدثنا أبو عمرو العثماني، حدثني محمد بن جعفر، ثنا خلف بن محمود، ثنا فارس النجار قال: بلغني أن إبراهيم بن أدهم رأى في المنام... والسند مع ما فيه من جهالة منقطع.

(٢) قال في الحاشية: أخرجه أبو نعيم في «الحلية»،(٣٦٠/٧). قلت: هو فيها قال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: قرأت في كتاب ابني عبد الرزاق ، عن عتيق بن عبد الله، قال: قال عبد العزيز بن محمد: " رأيت فيما يرى النائم و لم يتصل السند مع ما فيه من الجهالة.

وقفة

قبل إلقاء النظرات السريعة الناقدة[١] على الكتاب يجدر بنا أن نستحضر ونتذكر أن من الأصول المتقررة عند أهل السنة والجماعة التي أقاموا الأدلة القطعية عليها ووضعوا البراهين القوية لتثبيتها، أن رؤية الله -سبحانه وبحمده- يوم القيامة بالأبصار حاصلة، وواقعة لجميع الأمة عالمهم وجاهلهم مطيعهم وعاصيهم، وهي أعلى نعيم أهل الجنة.

وقد نازع بعض أهل البدع والضلال في هذه المسألة مما دعا أهل السنة والجماعة لذكرها وإثباتها في مؤلفاتهم العقدية، كابن بطة في الإبانة، والتيمي في الحجة، واللآلكائي في شرح أصول معتقد أهل السنة، والصابوني في عقيدة السلف، والآجري في الشريعة، وابن أبي زمنين في أصول السنة، وغيرهم .

وكذا دونوها في الكتب الحديثية كالبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، ووضعوها ضمن كتب الرقاق والزهد؛ بل أفردها بالتأليف

(١) لأنني وقتها كنت مشغولا بأمور أخرى أهم في نظري من إطالة النظر في الكتاب، فكانت نظرات سريعة لتجمع بين ما أشار به بعض طلبة العلم من أهمية الرد عليها وعدم صرف وقت طويل فيها، وبعد ظهور الرد بمذكرة قرأها أحد طلاب العلم ونبهني – جزاه الله خيرا- وأوقفني على بعض الملاحظات واستفسر عن بعض الإشكالات، وها هي تخرج بعد أكثر من ١٤سنة، وقد أعدت النظر فيها مراعيا ملاحظات الأخ مضمنا الكشف عن استفساراته، وقدمت في الكتاب وأخرت، ولم أزد فيها نظرات اختصارا للوقت؛ ولأن ما ذكر كافٍ في نظري.

بعضهم كالدارقطني وابن النحاس وابن الدقاق، وغيرهم.

كما أن المتحتم على الداعية أن يعظم المولى - سبحانه- في قلوب عباده ويجله في نفوسهم، بذكر صفاته العليا وأسمائه الحسنى، وتعريف الخلق معانيها الشريفة، ويعرف العباد بأفعال خالقهم -سبحانه- الحكيمة، حتى تتعلق القلوب بباريها محبة وإعظامًا، وتتصل به مهابة وإجلالًا، فينتج رجاء يدفع لفعل أوامره ويتمخض خوف يدعو لترك معاصيه، ويتولد محبة وشوقًا إلى الله.

كما أن من المطالب الشريفة المنوطة بالمرشد والمعلقة بالموجه أن يحدو النفوس إلى طاعة خالقها، بذكر ما أعده لها من النعيم الكامل المقيم في الجنة، ويزجرها عن معصيته بوصف ما جعله الله لأهل المعاصي من العذاب الأليم الدائم في النار، آخذًا بكتاب ربه - سبحانه- مقتديًا برسوله -ﷺ- سائرًا بسير السلف - رحمهم الله- قال حنضلة: قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين[١].

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله- أن خطب النبي -ﷺ- إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد

---

(١) رواه مسلم وسيأتي - إن شاء الله - بعض الأحاديث التي تبن ذكر الرسول -ﷺ- للجنة والنار مرغبا ومحذرا.

لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيمانًا وتوحيدًا، ومعرفة بالله وأيامه(١).

ولا غرابة... فإن هذه سيرة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وهديهم، فهذا نوح -عليه السلام- يقول لقومه مستنكرًا إعراضهم: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾(٢) أي عظمة.

ومدح سبحانه المتقين الذين من صفاتهم أنهم إذا عصوا ربهم تذكروا عظمته واستشعرت نفوسهم الزكية وفطرهم السوية إجلاله، ويتذكرون أليم عقابه، فينزعون ويرعوون ويتوبون إلى باريهم سبحانه، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾(٤).

فما أجدر الدعاة إلى الله أن يعوا هذا الأمر ويولوه اهتمامهم ويحثوا العباد

---

(١) «زاد المعاد» خاصية الجمعة الثالثة والثلاثين.

(٢) [نوح: ١٣] ينظر: «تفسير الطبري» (٧٤/٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١٠٠/٢)، و«تفسير السمعاني» (٤٧٥/١)، و«تفسير البغوي» (٤٤٠/٣).

(٣) [آل عمران:١٣٥].ينظر «تفسير ابن كثير» (١١/٤)، و«تفسير القاسمي» (٤١٤/٢).

(٤) [الأعراف:٢١٠].

عليه ويوجههم نحوه.

وليعلم أن هذا التعظيم لله -سبحانه- الذي ينبغي أن تحيا به القلوب وتغمر، والمحبة والإجلال اللذان يجب أن تزكى بهما النفوس وتعمر، فتطير شوقًا إلى باريها وتحلق محبة لخالقها لا ينافي ولا يضاد بحال محبة ما أباحه الله لعباده أو شرعه لهم، وذكره في كتابه أو ذكره رسوله -ﷺ- في سنته، ولا سيما الجنة بما فيها من المأكل والمشرب والملبس والمنكح؛ بل يتفق معه يوضح ذلك ويجليه أمور منها:

١- أن الله -سبحانه- جبل عباده على صفات عدة منها المحبة والشوق إلى ما تميل إليه طباعهم وتنصرف إليه نفوسهم وأباحه لهم، مثل: الميل للولد والوالد، والمناظر الجميلة والمشاهد البهية، والروائح الزكية والمطاعم الشهية، فإذا رأوها أو سمعوا بها ووصفت لهم مالوا إليها طبيعة وجبلة، ومن يحاول صرف النفوس عن إرادة ذلك والنفرة منه في العاجل والآجل؛ فإنه يطلب محالًا ويسعى لتحقيق ما لا يمكن تحقيقه.

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: «الأوصاف التي طبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب لا يطالب برفعها ولا بإزالة ما غرز في الجبلة منها، فإنه من تكليف ما لا يطاق، كما لا يطالب بتحسين ما قبح من

خلقة جسمه ولا تكميل ما نقص منها، فإن ذلك غير مقدور للإنسان»[(١)].

فالذي يحاول أن ينزع من النفوس غريزة حب المأكل والمشرب والملبس والمنكح ونحوها لابد أن يضطرب أمره أمام داعي الفطرة والجبلة والغريزة، ولم تأت الشريعة بذلك؛ بل عملت على توجيهه.

قال عمر الأشقر: «وقد أدى العمل على النحو الذي يقتضيه هذا الاتجاه إلى حدوث صراع نفسي في نفوس العاملين به، كانت له آثار سيئة، ذلك أنهم يحاولون كبت نوازع الفطرة ويطلبون محوها وإزالتها، وهذا أمر مستحيل، فدفعة الجسد قوية عنيفة، وهي لا تفتأ تلح على الإنسان وتضغط عليه ليستجيب لها، فإذا وقع الإنسان بين ضغط الغريزة الدائم الملحاح وبين ما يعتقد أنه سمو وكمال، وهو محاربة هذه الميول وخنقها في أعماق النفوس؛ فالنتيجة الحتمية أن يدمر الصراع الثائر بين الدوافع والكوابح نفس صاحبه، ويوهن قواه، ويشتت فكره، ويملأ القلب حيرة وقلقًا»[(٢)].

فإذا سمع العبد وقرأ أوصاف نعيم الجنة في الكتاب والسنة، وحاول أن يصد نفسه عن حبه والتعلق به والشوق إليه طالبًا السمو ناشدًا الكمال، فقد طلب المحال واصطدم مع فطرته، ووقع فيما وصفه الأشقر.

---

(١) الموافقات (٧٦/٢).

(٢) «الإخلاص» ص ٤٨، وهو مستل من كتابه المكلفين، وذكر أن هذا الاتجاه سلكه بعض أهل الديانات الأخرى.

ثم هل يمكن أن يبيح الله - سبحانه- ويشرع لعباده أشياء، ويكثر من تذكيرهم بها ويحببها لهم، ويحثهم على العمل لنيلها والظفر بها، ويشوقهم إليها، ويجعل لصفوة خلقه نصيبًا منها، ثم يجعل الكمال بتركها والتجافي عنها، ولا يخبرهم بذلك ولا يحثهم عليه؟!

٢- الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكمل الناس إيمانًا، وأعلم العباد بالله، وأشد الخلق محبة لله وشوقا إليه، وأعظم الناس إعظامًا وإجلالًا لله، ومع ذلك لم يحاربوا ما جبلوا عليه ويحاولوا خنقه في نفوسهم وكبته في ضمائرهم، فهذا يعقوب -عليه السلام- يحب بنيه وخاصة يوسف وأخيه -عليهم السلام- ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا**﴾(١)، وحينما فقد يوسف -عليه السلام- وأخبره بنوه الخبر لجأ إلى حصن الصبر فتحصن بأحسنه فقال: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾(٢)، ولما طالت غيبة يوسف -عليه السلام- وطال شوق أبيه إليه وحزن على فراقه حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، وأكثر يعقوب -عليه السلام- من ذكر محبوبه يوسف حتى عتب عليه في ذلك بنوه ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾(٣)، ومع هذا كله لا يشك مؤمن في عظمة الله في قلب نبي الله يعقوب -عليه

---

(١) [يوسف:٨].
(٢) [يوسف: ١٨].
(٣) [يوسف:٨٥].

السلام- وإجلاله لمولاه، وأن ذلك لم ينقصها ولم يزاحمها، ولذا لم يعتب عليه ربه على هذا الفعل الصادر منه؛ بل ذكرها في كتابه وجعلها ضمن أحسن القصص.

ونوح -عليه السلام- يتعلق قلبه بابنه مع كفره وإعراضه، وحينما جاءت الأمواج وتلاطمت وصارت كالجبال ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**﴾(١)، وسأل ربه ذاكرًا له أنه من أهله مستصحبًا العموم ﴿**فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ**﴾(٢)، فلم يعتب عليه مولاه بالحب الذي جبل عليه، وإنما عتب عليه أن ابنه كافر والنجاة موعودة للمؤمنين من أهله وغيرهم.

وهذا محمد بن عبد الله -ﷺ- لم يحاول إماتة ما جبل عليه وإزالته من نفسه الشريفة، فأحب ولده مع صغره وحزن لفراقه فقال -ﷺ-: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب»(٣).

وحينما سأله عمرو بن العاص - رضي الله عنه- عن أحب الناس إليه قال: «**عائشة**»، قال: ومن الرجال قال: «**أبوها**»(٤)، وقال -ﷺ- عن حبه

---

(١) [نوح:٤٢].
(٢) [هود:٤٥].
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.

لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «**إني قد رزقت حبها**»(١) .

وكان ﷺ يعجبه حسن النساء قال الله عنه: ﴿**لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾(٢)، ولم ينهه الله، وقال الله موجهًا خلقه: ﴿**وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾(٣).

وجعل سبحانه من آياته المودة والرحمة بين الزوجين- وقد تكون الزوجة كتابية- فقال ممتنًا على خلقه: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون**﴾(٤)، والزواج من الطيبات كما قال – سبحانه -: ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾(٥)، وقال الله: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾(٦)، فلا يجوز تحريمه على النفس ومنعها منه ﴿**يا أيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**﴾(٧) .

قال الله -سبحانه-: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) [الأحزاب: ٥٢].
(٣) [البقرة:٢٢١].
(٤) [الروم:٢١].
(٥) [النور:٢٦].
(٦) [الأعراف: ٣٢].
(٧) [المائدة:٨٧].

والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ...﴾[(١)]، فهنا يقرر سبحانه ما جبل وفطر عليه خلقه من حبهم للمذكورات، ثم قال: **﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾**[(٢)].

وعلم سبحانه ضعف عباده وقلّت صبرهم وتفلّت نفوسهم في ليالي الصيام، فلم يزجرهم ويعنفهم؛ بل رحمهم وخفف عنهم فقال: **﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾**[(٣)].

وآخى النبي -ﷺ- بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل

______

(١) [آل عمران:١٤].
(٢) [آل عمران:١٥].
(٣) [البقرة:١٨٧].

قال: سلمان قم الآن، فصليا فقال لـه سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي -ﷺ-، فذكر ذلك له، فقال النبي -ﷺ-: «**صدق سلمان**»(١).

وعاب النبي ﷺ على النفر الثلاثة الذين أرادوا كبت غرائزهم وما جبلوا عليه وأنكر عليهم وقال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» وهذا غاية التحذير لهم(٢).

وهذه المحبة طبيعية(٣) التي وضعها الله في قلوب عباده لا تداني محبة الله ولا تقاربها ولا تزاحمها؛ لأنها نوع آخر.

قال عبد الرحمن البراك: «وهكذا المحبة للأشياء الطبيعية، فكان رسول الله -ﷺ- «يحب الحلوى والعسل»، وكان «يحب الدباء» -كما جاء في حديث أنس -رضي الله عنه- ، وكان يقول: «حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب»، فكل هذا لا ينافي محبة الله، وإنما الذي ينافي محبة الله هي المحبة التي فيها عبودية، بحيث إنه يؤثر هذه المحبوبات على أمر الله، وعلى شرع الله، وعلى ما يحبه الله، فيقدم هواه وما يحبه من هذه المحبوبات على ما يحبه الله ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبنآؤكم**﴾ الآية، وفي

---

(١) البخاري.

(٢) وحديث الثلاثة متفق عليه.

(٣) ينظر «الجواب الكافي» (ص١٩٠)، وجل من شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد تكلم عن «المحبة» الطبيعية.

الحديث: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة»[١].

فالمحبة مثل الذل منه ما هو عبادة لا يجوز صرفه إلا لله، ومنه ما يجوز لغير الله وهو مغاير له قال الله: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾[٢]، وقال: ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾[٣].

٣- أن الله - سبحانه- أكثر في كتابه من ذكر الجنة وعدد نعيمها، ووصفها بأعظم الأوصاف الجاذبة للقلوب والمشوقة للنفوس، وكذا رسوله -ﷺ- في سنته[٤]، وعلى هذا المنهج درج سلف الأمة[٥]، فهل يلام من سلك سبيلهم وسار على دربهم؟

٤- حينما يرغبنا مولانا -سبحانه- ويحثنا على العمل لأجل الجنة ليس المقصود نوعًا من النعيم دون آخر؛ بل المقصود جميع النعيم الحسي

---

(١) «شرح كلمة الإخلاص» (ص ١١١- ١١٣).

(٢) [الإسراء:٢٤].

(٣) [المائدة:٥٤].

(٤) سيأتي – إن شاء الله – ذكر الآيات والأحاديث .

(٥) صنف كثير من أهل العلم المصنفات في وصف الجنة ونعيمها والتشويق إليها، وذكروا طرفا من شوق السلف إليها ورجائهم دخولها منها: «صفة الجنة» لأبي نعيم، ولابن أبي الدنيا، والضياء المقدسي، و«حادي الأرواح» لابن القيم، وصفة الفردوس لعبد الملك الأندلسي، والتذكرة للقرطبي، وعقدوا في ذكرها أبوابا في مصنفاتهم في الصحاح والسنن، وضمنوها قصائدهم كابن القيم في نونيته.

والمعنوي، فالذين يفرقون بين قصد العبد بعمله رؤية الله - سبحانه- ونعيم النظر إليه وبين قصد الجنة ونعيمها المخلوق، فهذا مع أنه أمر محدث مخالف للكتاب والسنة فقائله إما أنه لم يفهم المراد بالجنة.

قال أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله-: «ومن قال من هؤلاء: لم أعبدك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك، فهو يظن أن الجنة اسم لما يتمتع فيه بالمخلوقات والنار اسم لما لا عذاب فيه إلا ألم المخلوقات، وهذا قصور وتقصير منهم عن فهم مسمى الجنة؛ بل كل ما أعده الله لأوليائه فهو من الجنة والنظر إليه هو من الجنة، ولهذا كان أفضل الخلق يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار، ولما سأله بعض أصحابه عما يقول في صلاته: «**إني أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار**»، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال: «**حولها ندندن**»[(١)] .

وقال أيضًا شيخ الإسلام معقبًا على قول من قال: ما عبدتك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك وإنما عبدتك شوقًا إلى رؤيتك: «فإن هذا القائل ظن هو ومن تابعه أن الجنة لا يدخل في مسماها إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات ... إلى أن قال: والتحقيق أن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله، وهو النعيم الذي ينالونه في الجنة»[(٢)].

---

(١) «الفتاوى» (١٠/٢٤٠-٢٤١).
(٢) «التحفة العراقية» (ص٧٨).

وقال أيضًا: «إنّ طائفة من الصوفيّة والعبّاد شاركوا هؤلاء في أنّ مسمّى الجنّة لا يدخل فيه النظر إلى الله، وهؤلاء لهم نصيب من محبّة الله -تعالى- والتلذّذ بعبادته، وعندهم نصيب من الخوف والشوق والغرام، فلمّا ظنّوا أنّ الجنّة لا يدخل فيها النظر إليه، صاروا يستخفّون بمسمّى الجنّة[١]، ويقول أحدهم: ما عبدتُك شوقًا إلى جنّتك، ولا خوفًا من نارك وهم قد غلطوا من وجهين:

الرد عليهم من وجهين:

أحدهما: أنّ ما يطلبونه من النظر إليه والتمتع بذكره ومشاهدته، كلّ ذلك في الجنّة.

الثاني: أنّ الواحد من هؤلاء لو جاع في الدنيا أيامًا، أو أُلقي في بعض عذابها؛ طار عقله، وخرج من قلبه كلّ محبّة»[٢].

وقال ابن القيم - رحمه الله-: «الجنة ليست اسمًا لمجرد الأَشجار والفواكه، والطعام والشراب، والحور العين، والأَنهار والقصور، وأَكثر الناس يغلطون في مسمّى الجنة، فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل، ومن أَعظم نعيم الجنة: التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه، فلا نسبة للذة ما فيها من المأْكول

---

(١) جعل رحمه الله قولهم ذلك استخفافا منهم بمسمى الجنة.

(٢) «النبوات» لابن تيمية (١/٣٤٣).

والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذة أَبدًا، فأَيسر يسير من رضوانه أَكبر من الجنان وما فيها من ذلك، كما قال -تعالى-: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ وأَتى به منكرًا في سياق الإثبات، أَي: أَي شيءٍ كان من رضاه عن عبده فهو أكبر من الجنة»(١).

وقال ابن رجب - رحمه الله-: «كما أن أعلى الرجاء ما تعلق بذاته سبحانه من رضاه ورؤيته ومشاهدته وقربه، ولكن قد يغلط بعض الناس في هذا فيظن أن هذا كله ليس بداخل في نعيم الجنة ولا في مسمى الجنة إذا أطلقت، ولا في مسمى عذاب النار أو في مسمى النار إذا أطلقت وليس كذلك»(٢).

وأما أن يكون قائل تلك المقالة قد فقد شعوره وذهب عقله واضمحل إدراكه، ومن كان بهذه المثابة لا يستمع كلامه ولا يؤبه له فضلًا أن يعتبر ويعظم ويستدل به.

قال ابن رجب -رحمه الله-: «وبقي هاهنا أمر آخر، وهو أن يقال: ما أعده الله في جهنم من أنواع العذاب المتعلق بالأمور المخلوقة لا يخافها العارفون، كما أن ما أعده الله في الجنة من أنواع النعيم المتعلق بالأمور المخلوقة لا يحبه العارفون ولا يطلبونه، وهذا أيضًا غلط والنصوص الدالة على خلافه كثيرة جدًا ظاهرة، وهو أيضًا مناقض لما جبل الله عليه الخلق

---

(١) «مدارج السالكين» (٧٩/٢).
(٢) «التخويف من النار» (ص١٦).

من محبة ما يلائمهم وكراهة ما ينافرهم، وإنما صدر مثل هذا الكلام ممن صدر منه في حال سكره واصطلامه واستغراقه وغيبة عقله، فظن أن العبد لا يبقى له إرادة أصلًا، فإذا رجع عليه عقله وفهمه علم أن الأمر على خلاف ذلك»[١].

٥- أن أكثر الناس لا يدركون إلا ما يشاهدون من المحسوس من المأكل والمشرب والمنكح والملبس ونحو ذلك، فالأنفع لهم تذكيرهم بأعظمه وأرفعه، وهو ما يكون في الجنة وترغيبهم فيه كما ذكر ذلك المولى -سبحانه- مفصلًا في كتابه، وكذا النبي -ﷺ- فعن أنس -رضي الله عنه- قال: أهدي للنبي -ﷺ- جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «**والذي نفس محمد بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»[٢].

مع تذكيرهم برؤية الله وعظمها، كما أن الأنفع لهم أن يرهبوا بذكر النار وما فيها من الأهوال، كما ذكره الله في كتابه ووصفه لعباده قال الله: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾[٣]، ﴿**سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾[٤]، ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ**

---

(١) «التخويف من النار» (ص١٦).
(٢) متفق عليه.
(٣) [هود:١٠٦].
(٤) [إبراهيم:٥٠].

مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[١]، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾[٢]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾[٣]، ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾[٤]، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[٥]، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾[٦]، ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[٧]، ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾[٨]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾[٩]، ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[١٠]، ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[١١]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾[١]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ

---

(١) [الحج: ١٩-٢٢].
(٢) [الأحزاب:٦٦].
(٣) [فاطر:٣٦].
(٤) [الزمر:١٦].
(٥) [محمد:١٥].
(٦) [القمر:٤٨].
(٧) [القارعة:١١].
(٨) [الهمزة:٦].
(٩) [النساء: ٥٦].
(١٠) [الأعراف:٤١].
(١١) [إبراهيم:١٦,١٧].

جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[٢]، **﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾**[٣].

﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾[٤]، **﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾**[٥]، **﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾**[٦]، والآيات في وصف جهنم وأهلها كثيرة جدًا.

ووصفه رسوله -ﷺ- لأجل أن يحذروه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه-، أن النبي -ﷺ- قال: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا، من حر جهنم**» قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله قال: «**فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها**»[٧].

وعنه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**اشتكت النار إلى**

---

(١) [الإسراء:٩٧].
(٢) [فاطر:٣٦-٣٧].
(٣) [الزخرف:٧٤-٧٥].
(٤) [فصلت: ١٦].
(٥) [الرعد:٣٤].
(٦) [الزمر:٢٦]و[القلم: ٣٣].
(٧) رواه مسلم.

ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»[١].

وحدث النبي -ﷺ- أصحابه حينما سمعوا وجبة فسألهم عنها فقالوا الله ورسوله أعلم قال -ﷺ-: «**هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفًا فالآن انتهى إلى قعرها»**[٢].

ومنها قوله -ﷺ-: «بعد ما أشاح بوجهه ثلاثًا ويقول: «**اتقوا النار**» حتى ظن الصحابة أنه يراها، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[٣].

ومنها قوله -ﷺ- حينما ذكر الملائكة السياحين والتماسهم مجالس الذكر وسؤال الله لهم فيقول: «**مما يتعوذون، فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لاً، والله ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها فرارًا وأشد منها مخافة ...»**[٤] .

والأحاديث كثيرة جدًا، وتعظيم النار وذكر أهوالها أمر معلوم ضرورة

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.

وكذا فعل أهل العلم[١].

وكان السلف - رحمهم الله- يخافون ويخوفون من النار، فقد نغص عليهم أكلهم وشربهم ذكر النار.

قال ابن رجب -رحمه الله-: «وقد كان في السلف من حصل له من خوف النار أحوال شتى لغلبة حال شهادة قلوبهم للنار، فمنهم من كان يلزمه القلق والبكاء، وربما اضطرب أو غشي عليه إذا سمع ذكر النار»[٢].

ذكر ابن القيم - رحمه الله-: أن الله خلق الجنة وجعلها دار كل طيب، وخلق النار وجعلها دار كل خبيث، وخلق الدنيا وجعلها ممزوجة فيستدل المؤمن بما في الدنيا من الطيب على الجنة فيطلبها ويعمل للظفر بها، ويستدل بما في الدنيا من الخبيث على ما في النار فينزجر عن العمل السيئ[٣].

٦- أن الناس تختلف نفوسهم، والشريعة جاءت للجميع قال الماوردي - رحمه الله-: «ومن لطيف حكمته أن جعل لكل عبادة حالين حال كمال

---

(١) مثل كتاب «التخويف من النار» لابن رجب، و«صفة النار» لابن أبي الدنيا، و«ذكر النار» للمقدسي وغيرهم كثير ويذكرها أهل العلم في ثنايا كتبهم. وذكروا قصص السلف وحالهم عند ذكرها وخوفهم ورجائهم النجاة منها.

(٢) «التخويف من النار» (ص١١)، وفي هذا الكتاب أحوال عظيمة للسلف عند «ذكر النار» وحذرهم وخوفهم منها.وانظر كتاب الرقة والبكاء للمقدسي.

(٣) «طريق الهجرتين» (ص٢٤٥).

وحال جواز؛ رفقًا منه بخلقه لما سبق في علمه أن فيهم العجل المبادر والبطيء المتثاقل، ومن لا صبر له على أداء الأكمل؛ ليكون ما أخل به من هيئات عبادته غير قادح في فرض ولا مانع من أجر، فكان ذلك من نعمه علينا وحسن نظره إلينا»(١).

٧- لابد للعباد من حوافز تدفعهم للعمل الصالح وثواب يحثهم عليه ويحرك نفوسهم لتعمل الصالحات، وهذا أمر ذكره الله في كتابه كثيرًا مثل قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا...**﴾(٢)، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(٣)، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾(٤)، وقوله: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٥)، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...**﴾ (٦) وغير ذلك من الآيات كثير.

وقد نهج هذا النهج أنبياء الله ورسله فذكروا لأقوامهم ما يرغبهم في

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص١٤٣).
(٢) [النبأ: ٣١-٣٣].
(٣) [فصلت: ٣٠].
(٤) [الكهف: ١٠٧].
(٥) [البقرة: ١٩٥].
(٦) [الصف: ١٠-١١].

الطاعة من مرغبات دنيوية وأخروية، فقال هود -عليه السلام- لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (١).

وقال محمد -ﷺ- لقومه: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾(٢).

وقال نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾(٣).

والسنة طافحة(٤) بمثل هذا منه قوله -ﷺ-: «**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله**»(٥)، وقوله-ﷺ-: «**من يحفر بئر رومة فله الجنة ... من جهز جيش العسرة فله الجنة**»(٦)، بل قال -ﷺ-: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه**»(٧)، وقال: «**من استطاع الباءة**

---

(١)[هود: ٥٢].
(٢)[هود: ٣].
(٣)[نوح: ١٢].
(٤) هناك مؤلفان ١- «إتمام المنة» للغماري. ٢- «موجبات الجنة» للجعيثن ذكرا فيهما خصالا كثيرة وعد الله من أتى بها أن يدخله الجنة.
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه البخاري.
(٧) متفق عليه.

فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»(١)، وقال: «**من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك»**(٢).

وقال الله عن الاتجار في موسم الحج: ﴿**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**﴾ وجعل سبحانه من أهل الزكاة العاملين عليها وأهل الجهاد.

قال ابن العربي على قوله -تعالى- ﴿**والعاملين عليها**﴾(٣): «وهم الذين يقدمون لتحصيلها، ويوكلون على جمعها؛ وهذا يدل على مسألة بديعة، وهي أن ما كان من فروض الكفايات فالقائم به يجوز له أخذ الأجرة عليه(٤).

ومن ذلك الإمامة؛ فإن الصلاة، وإن كانت متوجهة على جميع الخلق فإن تقدم بعضهم بهم من فروض الكفاية، فلا جرم يجوز أخذ الأجرة عليها.

وهذا أصل الباب، وإليه أشار النبي - ﷺ - في الحديث الصحيح: «**ما تركت بعد نفقة عيالي ومئونة عاملي فهو صدقة**».

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) [التوبة: ٦٠].
(٤) يدخل فيه تغسيل الميت ودفنه ونحو ذلك من فروض الكفايات. انظر كتاب «ينبوع العين الثرة» لابن لب القرطبي المالكي، وكتاب «أخذ المال على أعمال القرب» لعادل بن شاهين بن محمّد شاهين.

قال بعض العلماء: العامل في الصدقة يستحق منها كفايته بالمعروف بسبب العمل، وإن لم يكن بدلًا عن العمل، حتى لم يحل للهاشمي، والأجرة تحل له.

قلنا: بل هي أجرة صحيحة؛ وإنما لم يدخل فيها الهاشمي تحريًا للكرامة وتباعدًا عن الذريعة، وذلك مبين في شرح الحديث.

والدليل على أنها أجرة أن الله -سبحانه- أملكها له، وإن كان غنيًا، وليس له وصف يأخذ به منها سوى الخدمة في جمعها»(١).

وهذه لا تنافي إرادة العبد لربه وابتغائه الدار الآخرة بالعمل؛ إذ لو أنها تنافيه لما جعلها سبحانه حوافز للعمل الصالح. وقد قال الله: ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما**﴾(٢).

وكما جاءت الآيات والأحاديث مرتبة أمورًا تحصل للعبد إذا عمل صالحًا، فقد جاءت كذلك بالترهيب له إذا عمل عملًا سيئًا، كقوله سبحانه: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ (٣)، قوله: ﴿**وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾(٤)، ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا**

(١) «أحكام القرآن» لابن عربي (٢/٥٢٤).
(٢) [النساء: ١١٤].
(٣) [النساء:١٢٣].
(٤) [النساء:١١٢].

تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١)، **﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾**(٢)، **﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾**، والآيات في هذا الأمر كثيرة(٣).

وأما الأحاديث فمثل قوله -ﷺ-: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(٤)، «إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة»(٥)، «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم؛ فاشقق عليه»(٦)، «فإن صدقا وبينا؛ بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»(٧).

وباب الحدود والتعزيرات داخل بجملته في هذا الباب.

-----

(١) [النساء:١١٥].
(٢) [المائدة:٧٢].
(٣) ينظر «الجواب الكافي».
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه مسلم.
(٧) متفق عليه ينظر كتاب «الجواب الكافي» لابن القيم.

النظرات في الكتاب

النظرة الأولى: في عنوان الكتاب:

عنوان الكتاب غالبًا يدل على مضمونه، وما يشتمل عليه من مباحث، وما يحويه من موضوعات، ويبين مراد كاتبه من وضعه وتحريره، ويوضح مقصده من كتابته وتسطيره.

عنون الكاتب كتابه بـ (منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين).

أقول:

أولًا: قوله: «منازل الحور العين» قد يقصد منازلهن، أي مساكنهن وهي الجنان، وقد يريد بمنازل الحور العين، أي أقدارهن، وأيما الأمرين أراد، فقد قرر أنه ليس مطلبًا عند العارفين الذين كال لهم المدح والإطراء وحثا لهم الإشادة والثناء، ومن هم يا ترى هؤلاء العارفون الذين أعلى ذكرهم ورفع شأنهم واستشهد بقصصهم وكلامهم؟ هل هم أساطين العلم وأربابه الراسخين فيه المحققين له من أئمة الأمة من محدثين وفقهاء ومفسرين وأصوليين ونحوهم ممن لهم قدم صدق في الأمة؟

هلاّ ذكر أقوال الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وأصحاب الكتب الستة والمشهورين بالعلم والدين، كابن المديني، وابن مهدي، وابن المبارك،

والسفيانين، والحمادين، والأوزاعي، وابن بطة، والتيمي، والصابوني، واللالكائي، وابن أبي زمنين، والآجري، وشيخ الإسلام[١]، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم كثير لا يمكن أن يجد في أقوال هؤلاء الأئمة وأمثالهم ما ينصر هذا القول الزائغ، ويعزز هذا المنهج المنحرف، ولو وجده لما ادخره، ولذا تراه يعرض كلام وأحوال العارفين عنده، وهم جوارٍ مجهولات[٢] وجن[٣]، ومتصوفة[٤] نقل عنهم من الأخطاء والشطحات ما نقل، ومع ذلك يرفع مكانهم ويعلي شأنهم وهم عنده العارفون بالله.

ثانيًا: أفصح الكاتب بداخلة كتابه بما أراد بلفظ العارفين الممدوحين دون سواهم، وذكر صفتهم التي تميزوا بها عن غيرهم، وهي أنهم لا يطلبون سوى الله - سبحانه- فيغيبون فيه عن غيره، فلا يعبدونه لرجاء الجنة أو خوف النار[٥] .

وهذا ليس بصحيح فمن متقي الأمة من الصحابة ومن بعدهم فئام فهموا خطاب الله في وصفه للجنة وترغيبه فيها، ووعوا كلامه في ذكره للنار

---

(١) نقل كلاما لشيخ الإسلام، ولكنه ذكره حينما خرج عن موضوع الكتاب واستطرد لموضوعات أخرى، وكذا ما نقله عن ابن القيم إما محرف سبقت الإشارة إليه أو ليس في موضوع الكتاب وإنما في موضوعات أخرى جرى ذكرها استطرادا.
(٢) كما في (ص٥٣-٧٣) مثلا.
(٣) كما في (ص٧٥).
(٤) بدون نظر في أسانيد من نقلت عنه.
(٥) هذا وإن لم يقله لفظا إلا أنه واضح لمن قرأ الكتاب.

وترهيبه منها، فعبدوه خوفًا من النار ورجاء الجنة، وليسمع هو ومن اغتر بكلامه إلى قول الله عن أفضل البشر أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام-: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾**(١).

وقال عن أبي الحنفاء إبراهيم -عليه السلام- **﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾**(٢)، وقال الله: **﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَار * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار﴾**(٣).

وقال عن عباده: **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾**(٤)، كما أن مطلوب أولي الألباب من خلقه الذين أثنى عليهم هو الفوز بالجنة والنجاة من النار: **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**(٥)، **﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ**

---

(١) [الأنبياء:٩٠].
(٢) [الشعراء: ٨٥].
(٣) [ص:٤٥-٤٧].
(٤) [الفرقان:٦٥].
(٥) [آل عمران:١٩١].

الْمِيعَادَ﴾[١].

وقال عن خيار عباده: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾[٢]، وقال الله: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار**﴾[٣]، ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**﴾[٦]، وقال: ﴿**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**﴾، وقال الله: ﴿**فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة**﴾[٧].

---

(١) [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

(٢) [السجدة: ١٦].

(٣) [النور:٣٧].

(٤) [الإنسان:٩-١٠].

(٥) [الإسراء:١٩].

(٦) [القصص ٧٧].وهو من قول قوم قارون وإذا أتى القول في القرآن فإما أن يؤيد مثل:﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ قال الله: ﴿وكذلك يفعلون﴾. وإما أن يسكت عنه وهو ودليل صحته مثل: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ أو يرد وهو كثير مثل: ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون ﴾.

(٧)[آل عمران:١٤٨].

وقال مادحًا ومثنيًا: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١)، وفي «صحيح البخاري»: «أن أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا ...»»(٢).

وقال عن موسى -عليه السلام-: ﴿اكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ﴾(٣)، وقال عن المتقين: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٤).

وقال عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٥).

وقال عن عثمان -رضي الله عنه-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ...﴾(٦). وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (٧).

وقال عن أهل الجنة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٨)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

(١) [البقرة:٢٠١].
(٢) سيأتي إيراد بعض الآيات حول هذا الموضوع (ص٥٧) وما بعدها.
(٣)[الأعراف: ١٦٩].
(٤) [آل عمران:١٦].
(٥) [الليل: ١٩-٢١].
(٦) [الزمر:٩].
(٧) [الإسراء:٥٧].
(٨) [الطور:٢٦].

يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١)، وقالت الملائكة: ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ**﴾(٢)، وأمر الله عباده فقال: ﴿**وادعوه خوفًا وطمعًا**﴾(٣).

ثالثًا: ورد في العنوان لفظة: (العارفين) وهي كلمة ترد كثيرًا في كلام الصوفية(٤)، وهي صفة مدح عندهم أطلقوها على كثير من المتصوفة، وفيهم جهلة العباد ومغفلي المتزهدة، والعارف عندهم مفضل ومقدم على عالم الشريعة، ولذا ارتضوا وتناقلوا قول قائلهم:

---

(١) [فاطر:٢٩-٣٠].

(٢) [غافر:٨].

(٣) [الأعراف: ١٥٧].

(٤) قول أنها ترد في كلام الصوفية لا يعني نفي ورودها عند غيرهم لمعنى مغاير لمراد الصوفية، وهذا واضح ولابد أن ينتبه؛ لتوافق الأسماء مع تغاير المصطلحات، فلفظ الاستحسان ذمه قوم ومدحه آخرون، ومن ذمه معناه عنده غير معناه لدى من مدحه، ولفظ الصرف والعطف في النحو غير لفظه في مسائل السحر، واللفظ حسن في الحديث عند المتقدمين غير ما يقصده منه المتأخرون، فعدم مراعاة ذلك والتنبه له يوقع في أغلاط وأخطاء علمية فاحشة ويورث مزالق خطيرة إذا كان في المعتقد، ففي الفرق من وضعت مسميات ظاهرها حسن ولكن لهم مقصود ومعنى سيئ غير مقصود غيرهم، فمثلا: من أصول المعتزلة التوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب شكر المنعم، وهي على غير ظاهرها، فمثلا وجوب شكر المنعم هي نفسها مسألة التحسين والتقبيح، ولما لم ينتبه بعض العلماء لها وافقهم عليها. ينظر كتاب سلاسل الذهب للزركشي (ص١٠٦-١٠٧).

فلركعــة مــن عــارف هــي أفضــل مــن ألفهــا مــن عــالم فتقــبلا[١]

وأطلقوا أوصافًا متعددة للعارف، من نظر في كتبهم وجد منها المقبول كخوف الله ودوام ذكره ومنها المردود؛ بل ما هو شرك وزندقة وإلحاد كوصف العارف بأنه يقول بوحدة الوجود وأن الله يحل في قلبه ويتكلم على لسانه وأنه يعلم الغيب ولا يستقبح السيئات[٢].

ويتفق مع ما أنا بصدد رده وبيان بطلانه قول بعضهم: «علامة العارف أن يكون فارغًا من الدنيا والآخرة»[٣].

وقول الآخر: «لا يصح لمريد قدم في طريق أهل الله -عز وجل- إلا بعد أن يزهد في الدنيا ونعيم الآخرة»[٤].

ولم ترد لفظة عارف بالكتاب والسنة كما وردت لفظة الأبرار والمتقين والمؤمنين و... و... مما جاء بالكتاب والسنة، فضلًا أن يرد مدحها والثناء على أهلها، وجعلهم علية القوم وممن يقتدى بهم، ولم يتداولها الصحب الكرام ولم يصفوا بها أحدًا ممن حولهم مع وجود الأتقياء الأبرار في

---

(١) «كفاية الأتقياء» و«منهاج الأصفياء» للدمياطي (ص ١٠٦).

(٢) «مصرع التصوف» (١/١٢٠ و ٢/٢١٠) و «رفع الشبهة والغرر» (ص ١٨) و (ص ٢٠) و«لوامع الأنوار البهية» (١/٢١١)

(٣) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم القشيري (٢/٦٠٥)، و«طبقات الشعراني» (١/١٠٧).

(٤) «الأخلاق المتبولية» للشعراني (١/٢٢٢).

زمانهم، فهي وإن كانت لفظة مدح فليست كالألفاظ الواردة بالكتاب والسنة.

النظرة الثانية:

إلى قول الكاتب في الصفحة الثالثة: «فإنه من الملاحظ في زماننا هذا تغليب الرجاء على الخوف مما أدى إلى إدلال وانبساط ظاهر من كثرة ذكر الحور العين ونحو ذلك من المخلوقات التي هي في ذاتها مخلوقات، ولم تكن هذه حال الصحابة والسلف؛ بل كانوا يغلبون الخوف إلا عند الموت فيحسنون ظنونهم بالله عز وجل».

أقول: إن كان يقصد أن الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يكثرون من ذكر الحور العين ونحوها مما أعده الله للمؤمنين في الجنة؛ فهذا ليس بصحيح ولا متجه نحو الصواب، كيف لا يكثرون من ذكرهن، وقد أبدى مولاهم بذكر أوصاف الجنة بما فيها الحور العين وأعاد، وشوق إليها العباد بذكر ما يدعوهم لطلبها من المأكل والمشرب والمنكح والملبس.

أما المأكل: فمثل قول الله -سبحانه-: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾(١)، وقوله: ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾(٢)، وقوله: ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**﴾(٣)، وقوله:

---

(١) [محمد:١٥].
(٢) [الدخان:٥٥].
(٣) [البقرة:٢٥].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[١]، وقوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٢]، وقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[٤]، وقوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[٥]، وقوله: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٦]، وقوله﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٧].

أما المشرب: فمثل قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾[٨]، وقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[٩]، وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾[١٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[١١]، وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ

(١) [ص:٥١].
(٢) [الواقعة:٣٣].
(٣) [الحاقة:٢٣].
(٤) [الإنسان:١٤].
(٥) [الرحمن:٥٢].
(٦) [الرحمن:٦٨].
(٧) [الواقعة:٢١].
(٨) [الأعراف:٤٣].
(٩) [الرحمن:٦٦].
(١٠) [محمد:١٥].
(١١) [الإنسان:٥-٦].

* ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٢].

وأما المنكح: فمثل قوله سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾[٣]، وقوله﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[٥]، وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾[٦]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٧]، وقوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٨]، وقوله: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٩]، وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾[١٠]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، وقوله﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[١١].

---

(١) [المطففين:٢٥-٢٨].
(٢) [الإنسان:٢١].
(٣) [الصافات:٤٨].
(٤) [ص:٥٢].
(٥) [النبأ: ٣١-٣٣].
(٦) [النساء:٥٨].
(٧) [الدخان:٥٤].
(٨) [الرحمن:٥٧-٥٨].
(٩) [الرحمن:٧٢].
(١٠) [الرحمن:٧٠].
(١١) [الصافات:٤٩].

قال السفاريني بعد ذكره لبعض أوصاف الحور: «إلى غير ذلك كما في القرآن العظيم والسنة الصحيحة، وكل هذا مما يشوق أهل الإيمان إلى طاعة الرحمن؛ ليدخلوا فسيح الجنان ويتنعموا بالحور الحسان والله ولي الإحسان»(١).

وأما الملبس: فمثل قوله سبحانه ﴿**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾(٢)، وقوله: ﴿**يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾(٣)، وقوله: ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾(٤)، وقوله: ﴿**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾(٥)، وقوله: ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ**﴾(٦).

وغير ذلك من الآيات في وصف مفصل للجنة.

وكذلك النبي -ﷺ- كان يسمعهم أوصاف الجنة ويشوقهم إليها، فقد جاءت عنه أحاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد والمصنفات، أسوق هنا بعض الأحاديث التي جاءت في الصحيحين أو أحدهما؛ لئلا

---

(١) «غذاء الألباب» (٢/٤٢٢).
(٢) [فاطر:٣٣].
(٣) [الدخان:٥٣].
(٤) [الكهف:٣١].
(٥) [الإنسان:١٢].
(٦) [الإنسان:٢١].

أطيل المقام وأثقل الهوامش بالتخريج فمن هذه الأحاديث:

قوله -ﷺ- «**للجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**».

وقوله: «**من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ...**» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، فقال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**»[١].

وقوله: «**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن**».

وقوله: «**جنتان من ذهب، آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة، آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وقوله: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، فإنها لهم في الدنيا ولكم**

---

(١) قال ابن القيم فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس «حادي الأرواح» (ص١٠١).

في الآخرة».

وقوله: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»**.

وقوله: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُود﴾»**.

والأحاديث كثيرة جدًا كان المصطفى -ﷺ- يحدث ويرغب بها صحبه الكرام[١].

فالسلف لا يمكن أن يحيدوا عن منهج رسمه لهم ربهم ورسوله -ﷺ-.

وقد أكثر الله من ذكر الحور العين كما تقدم، وكذا الرسول -ﷺ-فمن ذلك قوله: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتغوطون فيها، ولا يمتخطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون بكرة وعشيًا»**.

وقوله: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها**

---

(١) قال أبو نعيم: ذكر المكارم التي حوت الجنة، وحث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- على الاستباق إليها والتشمير والمجاهدة في الظفر بها، وقال: نوعا آخر من تحثيثه -صلى الله عليه وآله وسلم- على طلب الجنة وتشويقه إلى ما فيها (٤٩/١، ٥٤).

ستون ميلًا، فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا».

وقوله: «**ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»(١).

وقوله: «**ومجامرهم الألوة الأنجوج، عود الطيب وأزواجهم الحور العين**»(٢).

وقوله: «**ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا، وأحيانا لك، قال: فيقول: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت**»(٣).

وقد كان الصحب الكرام يذكرون الحور العين لا كما قاله الكاتب وأذكر هنا مثالين:

١ - حث عمار بن ياسر - رضي الله عنه- على القتال ورغب بالإقدام بذكر الحور العين، قال ابن حجر: «أخرج بن أبي شيبة بسند صحيح، عن أبي الرضا سمعت عمارًا يوم صفين يقول: من سره أن يكتنفه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

الحور العين؛ فليتقدم بين الصفين محتسبًا»[١] .

ويلحظ هنا أنه لم يحصل تعارض لدى عمار - رضي الله عنه- بين الإخلاص في القتال والشوق إلى لقاء الله وبين طلب الحور.

٢- ذكر ابن مسعود -رضي الله عنه- وصفًا مشوقًا للحور العين فقال: «إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء»[٢].

بل كانوا يذكرون نساء الدنيا وأذكر هنا طرفًا مما يدل على ذلك:

١- ينقل لنا علقمة حوارًا دار بين عثمان وابن مسعود -رضي الله عنهما- في صعيد منى في أيام فاضلة؛ إذ قال عثمان: «هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكرًا، تذكرك ما كنت تعهد؟»[٣] .

وفي رواية قال عثمان: «يا أبا عبد الرحمن، ألا نزوجك جارية شابة، لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك»[٤].

٢- ما صح عن ابن عباس - رضي الله عنه- في إحرامه من تمثله ببيت

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر(٨٦/١٣)، وينظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٥٤٦/٧)، و«مستدرك الحاكم» و«الصحيحة»، و«روضة المحدثين» (٢٤٣/٧).

(٢) كما عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٤١٤/١١) «الزهد» لابن المبارك ونعيم بن حما(د٧٤/٢).

(٣) رواه البخاري.

(٤) مسلم.

شعر فيه ذكر النساء ولفظ صريح في جماعهن، وقد ذكره كثير من المفسرين عند تفسيرهم لقول الله: ﴿**فلا رفث**﴾[١].

٣- ينقل لنا أنس بن مالك -رضي الله عنه- تحدثهم عن قوة النبي -ﷺ- في شأن النساء فيقول: كنا نتحدث «أنه أعطي قوة ثلاثين»[٢].

بل نجد النبي -ﷺ- يتحدث معهم في نساء الدنيا يدل عليه:

١- روى لنا جابر -رضي الله عنه- أنه -ﷺ- قال له: «**تزوجت**» قال: نعم، قال: «**بكرًا أم ثيبًا**» قال: بل ثيبًا، قال: «**أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك**»[٣].

وفي رواية مسلم: «**يا جابر، تزوجت؟**» قال: قلت: نعم، قال: «**فبكر، أم ثيب؟**» قال: قلت: بل ثيب يا رسول الله، قال: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**»، أو قال: «**تضاحكها وتضاحكك**».

٢- قال لهم -ﷺ-: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**».

بل نجد النبي -ﷺ- لا ينكر على مغيث -رضي الله عنه- تعلقه البالغ ببريرة -رضي الله عنها- بل يعيش همه ويقدر تعلقه، فعن ابن عباس -

---

(١) كالطبري والسمعاني والأصفهاني والبغوي، وهو في «سنن سعيد بن منصور»، و«مصنف ابن أبي شيبة»، والبيهقي في «السنن الكبرى»، و«المعرفة» وابن عبد البر في «الاستذكار».

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

رضي الله عنه-، أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له: مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس: «**يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا**» فقال النبي -ﷺ-: «**لو راجعتيه**» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «**إنما أنا أشفع**» قالت: لا حاجة لي فيه[(١)].

وإن كان يقصد أن الصحابة والسلف كانوا يغلبون جانب الخوف على الرجاء وأن أهل هذا الزمان بالعكس، فهذا أيضًا ليس على إطلاقه، ولكن يوجد بكثرة في أهل هذا الزمان، وأما إطلاقه على الجميع فأمر متعذر؛ لصعوبة استقراء حال الناس وسبر شأنهم.

والكاتب سلك سبيل من ذمهم من أهل الزمان، وذكر أنهم خالفوا السلف؛ بل أشد وذلك في كتابه (الإنكار)[(٢)].

ثم ليعلم أن تغليب جانب الخوف كما ذكر الكاتب قول لبعض السلف، وليس قولًا للجمهور فضلًا عن الجميع، قال ابن رجب -رحمه الله-: «فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف أنهما يستويان لا يرجح أحدهما على الآخر قال مطرف والحسن وأحمد وغيرهم، ومنهم من رجح الخوف على الرجاء وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) حيث فتح باب الرجاء للكفار فضلا عن عصاة الموحدين وقد قمت بالرد عليه في كتاب الاستنفار وهو مطبوع ولله الحمد متداول.

(٣) «التخويف من النار» (ص١٥).

والمسألة فيها تفصيل يطول إيراده هنا، ولكن المراد التنبيه إلى غلط نسبة هذا القول إلى كل السلف، وهذا يدل على أن الكاتب لا يتحرى تحرير الأقوال قبل نسبتها[١].

ثم إني أقول: لقد فتحت أبواب الشر على مصارعها، وسهلت سبل الوصول إليها وتسارع فئام من الناس لدخولها، فصار في المجالس من رق دينه وضعف يقينه وعُدم المروؤة والحياء، فلهج بذكر المردان والعاهرات، وطرب بذكر الخمر والمخدرات، وغير ذلك من الأمور المحرمة التي أقلها الغيبة والنميمة، نسأل الله العافية والسلامة.

وصالحوهم يتكلمون في الدنيا وما أبيح من زينتها من نساء وقصور وغير ذلك، وأما الذين يتكلمون في الجنة وما أعد فيها من الحور العين وغيرها، فهذا صنف شريف عزيز نادر الوجود، فَلِمَ لم يكتف الكاتب بالمشاركة في الإنكار على أهل الشر والفجور ولا يصب جام غضبه وعظيم إنكاره على هذا الصنف الغريب الذي تمنى الكاتب في نفس كتابه أن يصل إلى مرتبتهم، ووصفها بأنها عالية، فأورد قول ابن القيم -رحمه الله-: «وأعلاهم مرتبة من يكون مفتونًا بالحور العين».

ثم علّق الكاتب بقوله: «ومتى نصل نحن إلى هذه المرتبة العالية بالنسبة

---

(١) وقد سبق التمثيل بعض الأحاديث والآثار والقصص الضعاف التي أوردها الكاتب في نسخته هذه.

للتعلقات والفتن الدنيوية التي ذكرها وهي المال والصور والرئاسة»[١].

عجبًا لرجل -يعي ما يقول- ينكر شيئًا ثم يتمناه ويشتاق إلى الوصول إليه.

ولم يجعل الكاتب ضمن كتابه الكلام على الخوف الذي يرى أن السلف كانوا يغلبون جانبه إلا عند الموت؛ إذ إن العارفين في ميزان الكاتب كما أنه لا يشغلهم رجاء الجنة فكذلك لا يشغلهم خوف النار، فهم يعبدونه على المحبة فقط، وهذا خلاف ما عليه السلف الذين أخذوا بكتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- وجمعوا بين:

١- خوف الله وخوف ما توعد به وما أعده من العذاب .

٢- رجاء الله ورجاء ما أعده ووعد به من الثواب .

٣- محبة الله وإجلاله وتعظيمه والشوق إلى لقائه.

ومن دعا إلى هذه الخصال الثلاث فهو السني المهتدي، ومن أفرد أحدها فهو الضال المبتدع.

قال ابن رجب: «وكان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حَروريٌّ، ومن عبده بالحب وحده فهو زِنديقٌ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحِّد مؤمن، وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة، والخوف،

(١) (ص١٧).

والرجاء، ولابد له من جميعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان»[(١)].

ومع ابتداع أصحاب هذه الحال ومخالفتهم للسلف فادعاءهم المحبة ادعاء كاذب قال حافظ حكمي: «دعوى الحب لله بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة؛ ولذا ترى من يدعي ذلك كثيرًا ما يقع في معاصي الله -عز وجل- ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيع لها، وهذا شأن المشركين الذين قالوا: ﴿**لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا**﴾»[(٢)].

وقال عبد الرحمن البراك: «لا يغتر بهذه الأقاويل المجملة، ثم إن هذه الأقوال كلها فيها دندنة على ذكر «المحبة»، وفيها إهمال لجانب «الخوف» و «الرجاء»، وقد تقدم أن العبادة قائمة على هذه الأركان الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولهذا قال بعض أهل العلم مقولة مشهورة، وهي: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد».

فقوله: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق) وهذا كحال بعض

---

(١) «التخويف من النار» (ص ٢٥). ينظر «جامع الرسائل» لشيخ الإسلام (١/١١٢).

(٢) «معارج القبول» (٢/٤٣٧).

الصوفية، الذين يقولون: نحن لا نعبد الله خوفًا من عذابه ولا طمعًا في ثوابهً، وهذا كلام منكرً، (ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري) يعني: صار من جنس الخوارج، (ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ)، (ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد) وهو الذي على الصراط المستقيم)(١).

النظرة الثالثة:

إلى الصفحة الثالثة حيث قال الكاتب فيها: «والرب سبحانه وإن كان عظم الجنة فإن التعلق بها وأن تكون هي مبلغ العلم نقص كبير».

أقول:

أولًا: سبق قول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وابن القيم وأبو الفرج بن رجب -عليهم رحمة الله- أن من تكلم بمثل هذا القول أنه لم يفهم المقصود بالجنة إذا أطلقت، فلم يعلم إلا أنها تشتمل على المأكل والمشرب والمنكح والملبس ونحو ذلك من المخلوقات، وهذا فهم خاطئ؛ بل الجنة تشمل ما ذكر ورؤية الله سبحانه، وقد وعد الله المؤمنين بالجنة ورؤيته - سبحانه- ورضاه فقال: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾(٢)، وقال: ﴿**وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(٣).

---

(١) «شرح كلمة الإخلاص» ص ١١١- ١١٣.
(٢) [يونس: ٢٦].
(٣) [التوبة: ٧٢].

ثانيًا: المعظم لابد أن تتعلق به القلوب إذا كان المعظم هو الله - سبحانه- في كتابه ورسوله -ﷺ- في سنته خاصة إذا أكثر من تعظيمه، ولا يمكن أن يقال إن تعلق القلوب بما عظمه الله ورسوله نقص، إذ يتضمن هذا سوء أدب مع الله -سبحانه- ورسوله -ﷺ- كيف يقول الكاتب بأن الله عظمه؟ ثم يدعو إلى عدم تعلق القلوب به وتشوقها إليه والعمل لأجله، ويعتبر ذلك نقصًا كبيرًا ألم يعلم أن الله - سبحانه- ما عظمه ورفع شأنه إلا لهذا الغرض؟ الذي يسعى الكاتب لإماتته في القلوب ومحوه من النفوس، وأنى له ذلك.

ثالثًا: تعظيم الله للجنة أمر معلوم ضرورة وتشويقه العباد إليها أمر ظاهر، وتقدم سوق بعض الآيات في ذلك، فهل يلام من استجاب لربه وتعلق بها واشتاق إليها، وعمل لأجل الظفر بها وبما فيها، وحاول أن يكون من الفائزين بنيلها؟ كما أمره مولاه فقال: ﴿**سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض**﴾(١)، ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**﴾(٢)، ودعاه إليها: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(٣)، ﴿**والله يدعو إلى الجنة**﴾(٤) ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾(٥). ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾(١)، والآيات

---

(١) [آل عمران:١٣٣].
(٢) [الحديد: ٢١].
(٣) [يونس:٢٥].
(٤)[البقرة:٢١٤].
(٥) [التوبة: ١١١].

كثيرة في ذكر الجنة.

وهل يلام من شوق إخوانه المسلمين إلى جنة ربهم وذكر لهم أوصافها التي وردت في الكتاب وصحيح السنة وعمل على تعليق قلوبهم بها؟ وهل يقول أحد أن التعلق بما عظمه الله وشرفه ورفع شأنه يعتبر نقصًا فضلًا أن يكون نقصًا كبيرًا؟ وهل يعقل أن الله سبحانه يدعو عباده إلى أمر ويعظمه ويحثهم عليه، ويكون ذلك نقص كبير ولا ينبههم عليه؟

ورحم الله عمر بن عبد العزيز حيث قال: إن لي نفسًا تواقة لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نالتها تاقت إلى الخلافة، فلما نالتها تاقت إلى الجنة[٢].

النظرة الرابعة:

إلى الصفحة الثالثة أيضًا حيث جعل الكاتب معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله): هو التعلق بالله دون المخلوقات على المعنى السابق الذي تقرر فساده، فالذي يتعلق قلبه مثلًا بالجنة بما فيها الحور العين أو المآكل والمشارب لم يأت بحقيقة هذه الكلمة على معناها الصحيح عند الكاتب.

وهذا تفسير لمعنى (لا إله إلا الله) لم يسبقه من أهل العلم والتحقيق إليه سابق، ولا أظن يوافقه منهم عليه لاحق؛ إذ المعنى المعلوم المتقرر عند العلماء ألا يتعلق القلب في عبادته بغير الله، فلا يعبد إلا الله وحده لا شريك

---

(١) [آل عمران: ١٨٥].
(٢) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢٣١/١).«المدهش» لابن الجوزي (ص٢٢٨).

له، فالعبادة كمال المحبة والتعظيم والإجلال مع كمال الذل والخضوع لا يجوز صرفها إلا لله، أما تعلق القلب بالجنة وما فيها أو عمله لأجلها أو خوفه من النار والعمل للفرار منها؛ فليس داخل في هذا الحد إلا عند الكاتب، ومن نحى نحوه من الذين خلطوا بين الحب الطبعي الذي جبل عليه البشر بل الخلق، وبين حب العبد لربه؛ فنتج لهم هذا التصور الفاسد.

والحب مثل الخوف فكما أن في الخوف ما هو طبعي كالخوف من الظالم والحيوان المفترس، ومنه ما لا يجوز صرفه إلا لله فكذلك الحب.

النظرة الخامسة:

في الصفحة الثالثة أيضًا حيث قال الكاتب: «يوضح ذلك أن الرب -سبحانه- تعبد عباده بهذه الكلمة، وليس من شرطها أن يسكنهم جنة مخلوقة؛ إذ هم أطاعوه حيث قال سبحانه في الأثر: «**لو لم أخلق جنة ولا نارًا ألم أكن أهلًا أن أعبد**».

أقول:

أولًا: ليس للخلق على الله - سبحانه- حق واجب .

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله، أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

ولكنه تعالى مَنَّ وتفضل على عباده بأن أمرهم بعبادته، وجعل لهم عليها الجنة، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة قال الله: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ**

تَعْمَلُونَ ﴾[١]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون ﴾[٢]، وقال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون ﴾[٣]، وقال: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾[٤]. إلى غير ذلك من الآيات[٥].

وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٦].

قال ابن القيم -رحمه الله-: والبيع هاهنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة، وقوله: ﴿بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ أي: عاوضتم وثامنتم به[٧].

---

(١) [النحل:٣٢].
(٢) [الزخرف ٧٢].
(٣) [الأنعام: ١٢٧].
(٤) [السجدة: ١٧].
(٥) **تنبيه:** الباء هنا باء الجزاء والسبب أي جزاء أعمالكم وسببها والباء في قوله -ﷺ-: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» متفق عليه باء العوض، فالمنفية غير المثبتة. ينظر: «الاعتقاد الخالص» لابن العطار (ص٣٠١)، و«أعلام السنة المنشورة» (ص٧٧)، و«الفصل في الملل والنحل» (٩٦/٤)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص٤٤١).
(٦) [التوبة:١١١].
(٧) «حادي الأرواح» (ص٧٩).

وقد جاء في حديث معاذ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»[(١)]، وجعل الرسول -ﷺ- كثيرًا من الأعمال سببًا لدخول الجنة[(٢)].

ثانيًا: الأثر الذي جاء به الكاتب واستدل به أثر عائم ليس له خطام ولا لجام، وليس هو في كتب السنة، وكيف يستدل به وهو كذلك؟ وتقدم الكلام عليه.

ثالثًا: قالت الجبرية: إن الجزاء ليس مرتب على الأعمال[(٣)].

رابعًا: في الصفحة التاسعة عشرة فسر الكاتب قوله سبحانه: ﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[(٤)] بقوله: فهذه إرادة خالصة لا لغرض آخر وهذا هو الإخلاص والتوحيد.

يتضح من مجموع كلام الكاتب أن مقصوده لا لغرض آخر، أي من الدنيا والآخرة؛ إذ إن مبنى كتابه يدل على هذا المقصود ويوضحه أيضًا أول كلامه.

والصحيح المشهور أن معنى ﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ أي: أن عملهم الصالح

---

(١) متفق عليه.
(٢) انظر (ص٢٥).
(٣) ينظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص٤٤٠).
(٤) [الأنعام: ٥٢].

خالص لله دون سواه من المعبودات، فهو لله والدار الآخرة لا لغرض من الدنيا ولا يشوبه رياء ولا سمعة، وهذا هو التفسير المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، والذي يذكره المفسرون كابن جرير وغيره(١) .

وهذا مثل قوله - تعالى-: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾(٢)، وقوله - تعالى-: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا﴾(٣)، وقوله -تعالى-: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾(٤)، وقوله - تعالى-: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾(٥)، وقوله - تعالى-: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾(٦)، وقال - تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾(٧) .

وقوله - تعالى- عن نساء النبي -ﷺ- ورضي عنهن: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٨)، وقال - تعالى-: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ

---

(١) ينظر «جامع البيان» لابن جرير (٥/١٨) و«فتح القدير» للشوكاني (١٢٦/٢).
(٢) [الليل: ١٩].
(٣) [الإنسان: ٩].
(٤) [الزمر:٣].
(٥) [الزمر:١٤].
(٦) [النساء: ٣٦].
(٧)[الذاريات: ٥٦].
(٨) [الأحزاب: ٢٩].

سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(١)، وقال: **﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾**(٢)، وقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ... ﴾**(٣).

ومعلوم أن الجهاد من أفضل الأعمال الصالحة، والآيات في هذا المعنى كثيرةً،وهي تدل على أن إرادة الجنة من مطالب عباد الله التي حثهم عليها مولاهم، وتقدم إيراد بعضها(٤) وهي ترد التفسير الآية أن معناها لا يريدون الدنيا ولا الآخرة، وتبين خطأ من جاء به، وأنه تفسير محدث.

النظرة السادسة:

في الصفحة الخامسة حيث قال الكاتب: «ثم اعلم أنه لو اجتمع جمال الحور العين كلهن في واحدة فما قدره عند جمال المعبود الحق سبحانه؟».

أقول: معلوم أن جمال الله عظيم ولا يقارنه جمال المخلوق، ولكن تعلق قلوب العباد بما علقهم به ربهم في كتابه ورسوله -ﷺ- في سنته بجمال الحور العين اللآتي هن أجمل المخلوقات تعلق مغاير لتعلقهم بالله، فتعلقهم بالحور تعلق شهوة لغرض الاستمتاع والتبضع.

---

(١) [الإسراء:١٩].
(٢) [آل عمران:١٥٢].
(٣) [التوبة:١١١].
(٤) انظر (ص٢٤) وما بعدها.

وأما جمال الخالق - سبحانه- فنوع آخر مغاير لجمال المخلوق، فلا مقارنة بين الجمالين، ولا تعارض بين التعلقين، وقد خلطهما جمع من المتصوفة وغيرهم فضلوا وأضلوا، وسيأتي - إن شاء الله - مثال عليه.

وإذا كان جمال المخلوقات والتعلق به يختلف، فالتعلق بجمال الأنعام كما قال الله: ﴿**ولكم فيها جمال**﴾[١] غير التعلق بجمال النساء، فكيف يكون الشأن بين التعلق بجمال المخلوق وجمال الخالق؟!

النظرة السابعة:

في الصفحة السابعة ذكر الكاتب أن الشوق إلى مجرد الأكل والشرب والحور العين في الجنة أن هذا قصور وسببه عدم تعلق محبة المعبود سبحانه في القلب.

أقول:

أولًا: سبق أن ذكرت أن الله - سبحانه- ذكر في كتابه العظيم الجنة وفصل نعيمها، وكذا رسوله -ﷺ- في سنته حتى تشتاق النفوس إلى ما تميل إليه بفطرتها، فكيف يتصور أن الله - سبحانه- ورسوله -ﷺ- يصف شيئًا ويعظمه ويحث على الظفر به فيقول: ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة**

---

(١) [النحل: ٦].

عرضها السموات والأرض ﴾[١]، ويقول: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ...** ﴾[٢]. ويقول: ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾[٣] ثم يكون هذا قصورًا وسببًا لصد القلب عن التعلق به سبحانه وحبه.

ثانيًا: الجهاد وبذل النفوس والمهج في سبيل الله أعظم الدلائل على تعلق القلب بالله سبحانه محبة وتعظيمًا وإجلالًا وقد قال الله: ﴿ **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ...** ﴾.

ولو نظرنا في سير السلف المجاهد والكتب المؤلفة في هذا الموضوع لوجدناهم يشتاقون إلى الجنة وما فيها من المأكل والمشرب والمنكح والملبس حتى يروه في المنام، وكذا حال جمع من العباد وكتب الزهد والرقاق زاخرة بذلك.

ثالثا: جر الكاتب لهذا الخطأ الخلط بين أقسام المحبة.

النظرة الثامنة:

في الصفحة العاشرة قال الكاتب: «وليعلم أنه ليس المقصود أن المسلم لا يسأل الله الجنة والتزهيد بها، وإنما المقصود بيان حقيقة العبودية والتفريق بين المعبود والمخلوق».

---

(١)[آل عمران:١٣٣].
(٢) [الحديد: ٢١].
(٣) [المطففين:٢٦].

وقال في الصفحة الحادية والعشرين: «وليس المقصود أن المؤمن لا يريد من الله ويحتقر ما عظمه الله من نعيم الجنة كالحور والمأكل والمساكن وغيرها».

أقول: الكاتب يقرر مرارًا أن الجنة بما فيها الحور والمآكل والمشارب ليست مطلبًا للصنف المعظم عنده ويزهد في الجنة ونعيمها، وأن التعلق بها نقص كبير، ويدعو بأن لا تكون غاية مطلب العبد، وإذا كانت غاية مطلبه فإنه قصور، ثم ينكص هنا فيقول مثل هذا الكلام ويكرره، وكأنه يعتريه إحساس وجداني يعتري كل من قرأ الكتاب ونظر فيه وهو التزهيد بالجنة والتقليل من شأنها.

النظرة التاسعة:

في الصفحة الحادية عشرة ذكر أن معنى قوله -ﷺ-: «حولها ندندن» -يعني الجنة- أنه المقصود اسم الجنة الشامل الذي أعلاه وأعظمه محبة الله وقربه.

وقال: «ولك أن تتفكر في كون ربه اتخذه خليلًا فهل يزاحم هذه الخلة مخلوق من الحور أو غيرها؟».

ثم ذكر أن النبي -ﷺ- حبب إليه من الدنيا الطيب والنساء ثم قال: «كما أن حبه للحور العين لا يقارب حبه لربه لذاته سبحانه».

وقال: «وكما أنه -ﷺ- في الدنيا يحب زوجاته خاصة عائشة ويحب أصحابه إلا أن هذه المحبة لا تزاحم ولا تقارب محبته لربه عز وجل».

أقول:

أولًا: أجاب النبي -ﷺ- الرجل الذي لم يفهم ولم يفقه دندنته ولا دندنة معاذ بأنهما يلهجان بسؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار، وهذا شامل لكل ما في الجنة من النعيم بما فيها الحور والمآكل والمشارب التي لا يرغب بها العارفون عند الكاتب، وأيضًا شامل لكل ما في النار من العذاب الأليم.

وهذا واضح بإقرار الكاتب، وهنا صرح بأن النبي ﷺ يحب الحور العين وهو بنى كتابه على أن الحور العين ليس لهن منزلة في قلوب العارفين، فبئس عارف يخالف المصطفى -ﷺ-.

ثانيًا: تقدم ألا تعارض بين حب المؤمن لله سبحانه وبين حبه الطبعي الجبلي لبعض المخلوقات للمجانسة أو غيرها؛ إذ الحبان متغايران.

النظرة العاشرة:

نقل الكاتب في الصفحة الثالثة عشرة كلامًا عن الخلوة والإنفراد، ثم قال الكاتب في الهامش: ترى هل هذا الصنف – أي من حبب إليهم الخلوة - يطيقون العيش في زماننا؟!، أين الأماكن الخالية اليوم من المنكرات؟!، أما

الأماكن التي تهدأ فيها الأصوات والحركات فلقد كانت منذ حوالي سبعين سنة!، أما اليوم فأصبحت أمنية متعذرة، وحسبك أن المساجد أماكن العبادة والخلوة صارت كالورش الصناعية، وفيها من الأصوات ما يزعج!، قال -تعالى-: ﴿**كل يعمل على شاكلته**﴾ [سورة الإسراء، من الآية: ٨٤].

أقول:

أولًا: الإنسان خطاء فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[١].

وإذا كان بهذه المثابة فلابد له من وقفة عتاب متزنة لنفسه وجلسة نقد معتدل لذاته، فيحاسب ضميره بين الفينة والأخرى، ومع أهمية[٢] هذا الغرض الشريف والمطلب النبيل متيسر ولله الحمد لا يحتاج لكبير عناء وشدة بحث عن مكان.

وأما الخلوات المبتدعة التي يقصدها المتصوفة بكلامهم الطويل عنها ويتطلبون لها الأماكن الخالية الخاصة، ووضعوا لها آدابا وشروطًا[٣]، فلم

(١) رواه مسلم.

(٢) في كتب «الزهد والرقاق والآداب» كلام حول موضوع محاسبة النفس ونقل عن السلف في ذلك.

(٣) «التصوف المنشأ والمصدر» (ص ١٠٨) «جامع الأصول في الأولياء» لأحمد الكمشخانوي النقشبندي.

تكن في عهد الرعيل الأول، فهي خلوات مبتدعة تورث أنواعًا من البدع تكون لها تبعًا[١].

ثانيا: قول الكاتب: «أين الأماكن الخالية اليوم من المنكرات؟!» مجازفة ومكابرة ظاهرةً، ونظرة سوداوية للمجتمع فما زال المسلمون - ولله الحمد - على دينهم، فكم من المواضع المعمورة بالعبادة والطاعة، فليست أمنية متعذرة؛ بل سهلة متيسرة ولله الحمد، وقد قال رسول الله -ﷺ-: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم». قال أبو إسحاق: لا أدري، أهلكهم بالنصب، أو أهلكهم بالرفع[٢] .

وأما وصفه للمساجد بما وصف فهي مجازفة ومكابرة أخرى للواقع المعاش.

النظرة الحادية عشرة:

في الصفحة السابعة عشرة قال الكاتب: «وإذا كانت الفتنة بالحور العين قاطعة عن المراد في لغة العارفين فكيف تكون حالنا».

أقول: عجبًا لهذا الكاتب كيف يستسيغ أن يقول مثل هذا القول ويكتب مثل هذا الكلام، هل المولى - سبحانه- ينزل علينا قرآنًا يصفه بأنه هدى ونور

---

(١) «الخلوة من الأسماء المشتركة» التي سبق التنبيه عليها إذ الخلوة يقصد بها في بعض البلاد حلقات تحفيظ القرآن .

(٢) رواه مسلم.

وشفاء ونجاة و... ويذكر فيه من أوصاف الحور ما يكون قاطعًا لنا عنه سبحانه؟ وكذا الرسول -ﷺ- ذكر من أوصاف الحور ما ذكر فهل يكون ذلك قاطعًا لنا عن الله؟ ثم يأتي من يعظم هذه المرتبة ويتأسى لما لم يصل إليها.

النظرة الثانية عشر:

في الصفحة الحادية والعشرين قال الكاتب: «والقلوب مفطورة على حب الصور الجميلة؛ لكن المؤمن متعبد بغض بصره؛ لئلا تنتقش هذه الصور في قلبه فيعكف عليها محبة تصرف قلبه عما خلق له من النظر في الآخرة إلى خالق الجمال -سبحانه- وهو أولى..

أقول:

أولًا: كون القلوب مفطورة على حب الجمال والميل إليه أمر سبق تقريره، وأن الذي يريد صد النفوس عما جبلت عليه طالب للمستحيل.

ثانيًا: الشريعة جاءت بتحريم النظر إلى أشياء وإباحته إلى أشياء، وليس ضابط الإباحة والتحريم الجمال، فالنظر إلى الأجنبية محرم جميلة كانت أو دميمة، والنظر إلى الزوج والمملوكة مباح وإن كانت جميلة[1].

وقد قال الله - سبحانه-: ﴿**ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم**﴾[2].

---

(١) ينظر كتاب «أحكام النظر إلى المحرمات» للعامري، وكذا النظر في أحكام النظر لابن القطان الفاسي.

(٢) [البقرة: ٢٢١].

وقال لرسوله -ﷺ-: ﴿**ولو أعجبك حسنهن**﴾(١). والإعجاب يشمل الجمال وغيره.

وقالت عائشة - رضي الله عنها - في قول الله: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء**﴾(٢)، قالت: هي اليتيمة في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها(٣).

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه-، عن النبي -ﷺ- قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»(٤).

وفي صحيح مسلم: «ووقعت في سهم دحية جارية جميلة، فاشتراها رسول الله -ﷺ- بسبعة أرؤس، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها - قال: وأحسبه قال - وتعتد في بيتها، وهي صفية بنت حيي»، وهذا يدل على مشروعية تجمل النساء لأزواجهن.

وعن عبد الواحد بن أيمن، قال: حدثني أبي، قال: دخلت على عائشة - رضي الله عنها -، وعليها درع قطر، ثمن خمسة دراهم، فقالت: «ارفع بصرك إلى جاريتي انظر إليها، فإنها تزهى أن تلبسه في البيت، وقد كان لي

(١) [الأحزاب: ٥٢].
(٢)[النساء: ٣].
(٣) البخاري.
(٤) متفق عليه.

منهن درع على عهد رسول الله -ﷺ- فما كانت امرأة تقين بالمدينة إلا أرسلت إلي تستعيره»[١].

وسبيعة بنت الحارث لما تعلت من نفاسها، تجملت للخطاب[٢] .

واستنكر سلمان - رضي الله عنه- عدم تجمل أم الدرداء لأبي الدرداء وصدقه الرسول -ﷺ-[٣] .

وأمر النبي -ﷺ- أصحابه الكرام بعد عودتهم من السفر فقال: «أمهلوا حتى تدخلوا ليلًا - أي عشاء - لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة»[٤].

وقد قال الله عن المرأة: ﴿**أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين**﴾[٥]، وإذا كان هذا التعلق ليس بمذموم شرعًا فكيف يذم التعلق بالجنة وحورها؟!

ثالثًا: غض البصر عن الحرام الذي أُمر به العباد وتُعبدوا به وراءه حكم وإسرار عدة هذه منها وليست محصورة فيها.

رابعًا: القلب المحب لله لا تؤثر الصور الجميلة المباحة في حبه، ولو كانت تؤثر لما أبيحت وأبيح نظره إليها، وكذا محبة المخلوق طبعية لا تتعارض مع محبة الخالق سبحانه؛ إذ إنهما محبتان متغايرتان. وقد سبق

---

(١) البخاري.
(٢) البخاري.
(٣) البخاري.
(٤) البخاري ومسلم.
(٥)[الزخرف: ١٨].

ذكر ذلك.

خامسًا: النظر في الآخرة إلى الرب -سبحانه- بالبصر لا بالقلب كما تأوله بعض أهل البدع[١]، وهو مقرر بالأدلة لدى أهل السنة والجماعة والكاتب ممن ذكره في بعض كتبه.

النظرة الثالثة عشرة:

في الصفحة الثانية والعشرين حيث قال الكاتب: «من هذا يتبين أن كل محبة لسواه فهي صرف حقه لغيره، وهي ألم في القلب يعذب به؛ لانصرافه وانحرافه عن فطرته التي فطر عليها من محبة إلهه الحق إلا ما كان من الحب فيه، فهذا داخل في محبته غير معارض كمحبة أنبيائه وأوليائه، وما يحب بشرط عدم الغلو في ذلك بألا يرفع أحد إلى درجة محبته أو يماثل فيها».

أقول سبق بيان أن هذا القول مبني على فهم سقيم وخلط بين المحبة الشرعية والطبعية.

النظرة الرابعة عشرة:

في الصفحة السابعة والأربعين نقل الكاتب ما رواه ابن أبي الحواري عن الداراني من قوله: «أقرب ما تقرب به إليه أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد

---

(١) ينظر «شرح العقيدة السفارينية» لابن عثيمين (ص٥١٢).

من الدنيا والآخرة إلا هو»[١].

أقول:

أولًا: هذا الأثر لا يصح إسناده لأبي سليمان الداراني.

فقد رواه أبو نعيم في موضعين:

الموضع الأول: قال: حدثنا أحمد بن إسحاق، ثنا عمر بن يحيى الأسدي، قال: سمعت أحمد ابن أبي الحواري، قال: قال أبو سليمان، فذكره.

وأحمد بن إسحاق الظاهر أنه ابن محمد بن زكريا لم أجد من ترجمه فهو مجهول.

عمر بن يحيى الأسدي مجهول أيضًا لم يذكره إلا ابن عساكر في تاريخ دمشق[٢].

الموضع الثاني: قال حدثنا إسحاق، ثنا إبراهيم، ثنا أحمد به.

وإسحاق الظاهر أنه ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يوسف الهسنجابي لم أقف له على ترجمة فهو مجهول.

وإبراهيم هو ابن عبد الله بن الجنيد الختلي أبو إسحاق، وقد أورد هذا

---

(١) قال في الحاشية: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٧/٩)، ونسَبه العمادي الدمشقي في «الروضة الريا فيمن دفن بريا» (ص٨٣) لمالك بن دينار، وأتبعه بقوله ـ رحمه الله ـ: "كل ما يشغلك عن الله ـتعالى- من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم!".

(٢) ٤٥/ ٣٨٧.

الأثر في كتابه المحبة لله سبحانه[١] قائلًا: ومما قرأت من كلام أبي سليمان: قال أحمد بن أبي الحواري وقال محمود لأبي سليمان: فذكره ففيه انقطاع.

ورواه ابن الجوزي في كتابيه التبصرة وذم الهوى[٢]، وفي سنده مجاهيل، وفيه علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم أبو الحسن الزاهد متهم بوضع الحديث. قاله الذهبي[٣].

وابن أبي الحواري قال عنه ابن الجوزي: شهد قوم أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة[٤].

ولكن قال الذهبي بعد إيراده لهذا الخبر من كتاب السلمي محن الصوفية: هذا من الكذب على أحمد -رحمه الله- فإنه كان أعلم بالله من أن يقع في

---

(١) «المحبة» لله» (ص٤٥) رقم (٩٢) وذكره في «روضة المحبين» (ص٣٣٩) بلا إسناد.

(٢) «التبصرة» (٢٠٩/٢)، و«ذم الهوى» (ص٧٧)، وذكره في «صفة الصفوة» (٣٨٥/٢) بدون إسناد.

(٣) (ت ٤٠٧) (سير ١٧/ ٢٧٥) (عساكر ٤٣/ ١٥) (لسان ٥/ ٢٣٤).

(٤) «تلبيس إبليس» (ص١٥٠) ونقله عنه كل من عبد الرحمن عبد الخالق في «الفكر الصوفي» (ص٤٥٧)، ومجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف في «موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام» (٣٢٩/٧).

لابد من دراسة موصلة لرجالات التصوف حتى يظهروا على حقيقتهم ولتعرف حالهم، فلا يغتر بكلامهم ولا يعتبر به، وكذا الدراسة لما نقل عمن عرف بالعلم والإتباع ممن تبناهم الصوفية ونقلوا عنهم، فينظر لصحة إسناده وعرض متنه على الوحي المنزل ومدى موافقته ومخالفته له.

ذلك، وما يقع في هذا إلا ضال جاهل(١).

وقال: إن صحت الحكاية، فهذا من كذبهم على أحمد، هو كان أعلم بالله من أن يقول ذلك(٢).

وقد استدل الكاتب بهذا الكلام وكأنه خارج من مشكاة النبوة.

ثانيًا: نقل الكاتب في الصفحة التاسعة والأربعين ما ينقض ما ذكره هنا حيث نقل أن من فوائد مجالسة العارف أنها تنقل من الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة.

ثالثًا: هذا الكلام تبين أنه لا يصح سنده إلى أبي سليمان الداراني وهو غلط، فإن الآخرة مطلب عباد الله الصالحين، وقد تقدم ذكر ذلك، وأيضًا لا تناقض بين إرادة الله وإرادة الآخرة؛ بل إرادة الآخرة من إرادة الله، قال الله لنساء نبيه: **﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ﴾**(٣)، وتقدم ما يدل على ذلك في النظرة الأولى.

رابعًا: لنقف مع أفضل ما تقرب به إلى الله فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ- في الحديث القدسي: «**...وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**»(٤)، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه-، أن

(١) «تاريخ الإسلام» (٥٤/١٨).
(٢) «السير» (٤٧٨/٩).
(٣) [الأحزاب: ٢٩].
(٤) البخاري.

رسول الله -ﷺ- سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»(١).

وفي حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه-، قال: سألت النبي -ﷺ-: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**» قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني(٢) .

وفي حديث أبي ذر - رضي الله عنه-، قال: سألت النبي -ﷺ- أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله، وجهاد في سبيله**»(٣).

خامسًا: قال عمر بن سليمان الأشقر: «إن المقاصد تتنوع فيما بينها ذلك أن العباد يقصدون ربهم في جوانب مختلفة، فمنهم الذي يعبده تعظيمًا له وتوقيرًا، ومنهم الذي يقصد الدخول في طاعته وعبادته، ومنهم الذي يطلب رضوانه ورضاه، ومنهم الذي يقصد الأنس به والتلذذ بطاعته، ومنهم من يرجو التنعم برؤيته يوم لقياه، ومنهم من يطلب ثوابه من غير أن يستشعر ثوابًا معينًا، ومنهم من يطلب ثوابًا معينًا، ومنهم من يخاف عقابه من حيث

---

(١) البخاري.
(٢) البخاري ومسلم.
(٣) البخاري.

الجملة غير ناظر إلى عقاب معين، ومنهم من يخشى عقابًا معينًا.

وتنوع المقاصد باب واسع والعبد قد يقصد هذا مرة وهذا مرة، وقد يقصد أكثر من واحد من هذه المقاصد، وكلها تنتهي إلى غاية واحدة وتعني في النهاية شيئًا واحدًا أن العبد يريد الله -سبحانه- ولا يريد سواه، وكل ذلك محقق للإخلاص، وأصحاب هذه المقاصد على الصراط المستقيم وعلى الهدى والصواب، وإن كان العبد لا ينبغي أن يخلي قصده من الحب والخوف فإن قوام العبادة بهما ومدارها عليهما. اهـ[(١)].

النظرة الخامسة عشرة:

في الصفحة السابعة والأربعين نقل قول يحيى بن معاذ: «النسك هو العناية بالسرائر وإخراج ما سوى الله من القلب».

أقول:

أولًا: هذا الأثر لا يصح؛ إذ هو بالإسناد السابق[(٢)].

ثانيًا: مقصوده هنا بالنسك، أي العبادة يقال تنسك فلان أي تعبد[(٣)].

فما هو تعريف العبادة؟ قال العلماء: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله

---

(١) «الإخلاص» (ص٦٧).
(٢) كما في «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٧٧).
(٣) ينظر «النهاية» لابن الأثير و«المصباح المنير» للفيومي و«المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني وغيرها.

ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فإن قصد إخراج ما سوى الله من القلب أنك لا تريد بعملك لا دنيا ولا أخرى؛ فهذا خطأ ظاهر تقدم رده، وإن أراد تخليص عبادتك لله وتنقيتها من شوائب الشرك والرياء فهذا حق.

النظرة السادسة عشرة:

في الصفحة السابعة والأربعين نقل الكاتب قول سهل التستري: «ما من ساعة إلا والله -سبحانه- يطلع فيها على قلوب العباد فأي قلب رأى فيه غيره سلط عليه إبليس».

أقول:

أولًا: هذا الأثر لا يصح؛ إذ هو بالإسناد السابق[(١)].

والكاتب يستدل بمثل هذا القول بدون تثبت من النقلة ولا نظر نقد للمتن وكأنه صحيح عن محمد بن عبد الله -ﷺ-.

ثانيًا: ليعلم المطلع على بعض كتب الوعظ والرقاق أن فيها كمًا هائلًا من الكلمات التي لا تعلم إلا بوحي، وأحسن أحوالها أنها مأخوذة من الإسرائيليات، ومن أمثلتها هذا الأثر، فكيف علم هذا القائل باطلاع الله على قلوب العباد كل ساعة...؟ أَطَّلع الغيب؟ فلا يدل على قوله منطوق آية أو

---

(١) كما في «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٧٧).

حديث ولا مفهومهما.

النظرة السابعة عشرة:

في الصفحة الخمسين نقل استفهام أبي سليمان الداراني وإجابته حيث قال أبو سليمان: «أي شيء أراد أهل المعرفة؟! والله ما أرادوا إلا ما سأل موسى -عليه السلام-» وعزاه الكاتب لأبي نعيم في الحلية وقال يريد قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾(١).

أقول:

أولًا: روى هذا الأثر أبو نعيم فقال: حدثنا إسحاق، ثنا إبراهيم، ثنا أحمد، قال: سمعت أبا سليمان

وإسحاق الظاهر أنه ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يوسف الهسنجابي، وتقدم الكلام على أن هذا الإسناد لا يصح.

ثانيًا: قال الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾(٢)، والزيادة هي النظر إلى وجه الله(٣).

---

(١) [الأعراف:١٤٣].

(٢) [يونس: ٢٦].

(٣) عن صهيب، عن النبي -ﷺ- قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى=

وسبق في النظرة الأولى للكتاب أن سادات العباد وهم أنبياء الله وعباده الصالحون كانوا يرجون بعملهم الجنة بما فيها النظر إلى وجه الله الكريم ويخافون من النار.

قال عمر بن سليمان الأشقر: «والذين قالوا هذه المقالة أثروا في المسلمين أثرًا سيئًا، فإن القلب إذا خلا من ملاحظة الجنة والنار ورجاء هذه والهرب من هذه؛ فترت عزائمه وضعفت همته، ووهى باعثه، وكلما كان أشد طلبًا للجنة وعملًا لها كان الباعث له أقوى والهمة أشد والسعي أتم، ولعل من أخطاء هذا الفريق زعمه أن الجنة لا يدخل في مسماها إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات، وأن طالب الله وطالب رؤيته والنظر إليه ينبغي أن يطلب مطلوبًا غير الجنة»(١).

وتقدم قول ابن تيمية وابن القيم وابن رجب في معنى الجنة.

النظرة الثامنة عشرة:

نقل الكاتب في الصفحة الثانية والثمانين قول إبراهيم بن أدهم: «إن كنت تحب أن تكون لله وليًا وهو لك محب، فدع الدنيا والآخرة ولا ترغبن فيهما، وفرغ نفسك منهما، وأقبل بوجهك على الله يقبل الله بوجهه عليك ويلطف

= ربهم عز وجل» زاد يزيد بن هارون ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. رواه مسلم وغيره

(١) «الإخلاص»، (ص٦٥).

بك...» وعزاه الكاتب لأبي نعيم في الحلية.

أقول:

أولًا: هو في الحلية بدون إسناد(١).

ثانيًا: أما المتن فهو منكر؛ إذ الناظر في سير أعظم الأولياء وساداتهم وهم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والصحابة - رضي الله عنهم - لا ينطبق عليهم كلام ابن أدهم، أما طلبهم للآخرة فتقدم ذكره، وأما عملهم للدنيا، فقد أخذوا من الدنيا بلغتهم عملوا فيها وعمروها، واشتغلوا بما يقوم بحياتهم، وعرفوا قدرها وعظموا أمر الآخرة وسعوا لنيلها، فعن المقدام - رضي الله عنه-، عن رسول الله -ﷺ- قال: «**ما أكل أحد طعامًا قط، خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود** -عليه السلام-، **كان يأكل من عمل يده**»(٢).

قالت عائشة - رضي الله عنها-: لما استخلف أبو بكر الصديق، قال: «لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه»(٣).

وقالت - رضي الله عنها-: كان أصحاب رسول الله -ﷺ- عمال أنفسهم،

---

(١) وهو في كتاب «المحبة» للمحاسبي ضمن كتاب «ختم الأولياء» للترمذي (ص٤٢٥).

(٢) البخاري.

(٣) البخاري.

وكان يكون لهم أرواح، فقيل لهم: «**لو اغتسلتم**»[١] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدًا، فيعطيه أو يمنعه**».

وعنه - رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «**كان زكرياء نجارًا**»[٢] .

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**».

وفي الصحيحين أيضًا عن أم سليم أنها قالت: يا رسول الله ، خادمك أنس ادع له فدعا له رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وفيما دعا له أن يكثر ماله، وإليك النص: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيهما**».

وادخر رسول الله -ﷺ- لأهله قوت سنة كما ورد في الصحاح ، واللفظ لمسلم عن عمر أنه قال: «كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فكانت للنبي -ﷺ- خاصة ، فكان ينفق على أهله نفقة سنة ، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في

---

(١) البخاري.

(٢) مسلم، وكان جمع من أكابر السلف يعملون بأيديهم حتى نسبوا إلى أعمالهم ولم يذموا بذلك ولم يلمزوا بسببه.

سبيل الله - وفي رواية - كان يحبس منه قوت أهله لسنة».

وقد قال الله: ﴿**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله**﴾[(١)]، وقال: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾[(٢)]، وقال: ﴿**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾، وقال: ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون**﴾، ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم، ومما أخرجنا لكم من الأرض**﴾[(٣)].

ونهى عن إضاعة المال قال: ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**﴾، وقال: ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾، و ﴿**والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾، ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾، وأوجب الزكاة وقال: ﴿**كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده**﴾، وقال: ﴿**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله**﴾.

ثالثًا: وردت صفات أولياء الله في القرآن وليس فيها هذا الوصف فقد قال سبحانه: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا**

---

(١) «الكسب» لمحمد بن الحسن الشيباني «الحث على التجارة» للخلال.

(٢) [الأعراف: ٣٢].

(٣) [البقرة: ٢٦٧].

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[١]، **﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾**[٢] وصفات المتقين معلومة. بل يكون راجيًا خائفًا، ومن صفات أولياء الله في الكتاب العزيز ما ذكره الله عنهم بقوله: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتَوْنَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾**، **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾**.

قال الطحاوي - رحمه الله تعالى-: «وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله -تعالى-: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**[٣].

وورد سبب محبة الله للعبد: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾**[٤]، وقال: **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾**[٥] يحب المحسنين والمتطهرين والتوابين والمتقين والصابرين والمتوكلين والمقسطين والذين يقاتلون في سبيله.

---

(١) [يونس:٦٢-٦٣].
(٢) [الأنفال:٣٤].
(٣) [يونس: ٦٤].
(٤) [آل عمران:٣١].
(٥) [المائدة:٥٤].

وعن البراء - رضي الله عنه-، قال: سمعت النبي -ﷺ-، أو قال: قال النبي -ﷺ-: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(١) .

وعن أبي هريرة، عن النبي -ﷺ-، أنه قال للحسن: «**اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه**»(٢).

«**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»(٣)، وغيرها من الأحاديث.

رابعًا: سبق من كلام العلماء ما يبين أن هذا مضادة لما خلق الله الخلق وجبلهم عليه قال شيخ الإسلام: «أما عمل الحي بغير حب ولا إرادة أصلًا فهذا ممتنع، وإن تخيله بعض الغالطين من النساكً، وظن أن كمال العبد أن لا يبقى له إرادة أصلًا»(٤).

النظرة التاسعة عشرة:

في الصفحة الثالثة والستين نقل الكاتب قول الحكيم الترمذي: «فأما أهل

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) البخاري.
(٤) «التحفة العراقية» (ص٧٩).

المعرفة وهم المقربون فهمومهم من البقاء في الدنيا فإن الدنيا سجن المقربين ينتظرون متى الراحة منها وهو قول الرسول ﷺ: **«الدنيا سجن المؤمن...»**.

أقول:

أولًا: الحكيم الترمذي هو محمد بن علي أبو عبد الله متسع العلم والرواية، ولكنه متصوف ألف كتاب «العلل» علل به ورود بعض الأحكام الشرعية بعلل غير شرعية بناها على أحاديث موضوعة، ووضع كتابًا آخر في خاتم الأولياء، وذكر فيه أمورًا غير مرضية، وهو يرى أن الأولياء أفضل من الأنبياء.

قال شيخ الإسلام: «وكذا لفظ خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي»(١).

وقال: «تكلم أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتاب «ختم الولاية» بكلام مردود مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، حيث غلا في ذكر الولاية، وما ذكره من خاتم الأولياء وعصمة الأولياء ونحو ذلك مما هو مقدمة لضلال ابن عربي وأمثاله الذين تكلموا في هذا الباب

---

(١) «الفتاوى» (١١/٤٤٤) انظر «الفرقان» (ص٩٢) في ترجمته «تذكرة الحفاظ» للذهبي (ت ٦٦٨) وغيرها.

بالباطل والعدوان»[١].

وقال ابن الجوزي: «وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي كتابًا سماه رياضة النفوس قال فيه: فينبغي للمبتدئ في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله، ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة ويقطع الإدام والفواكه واللذة ومجالسة الإخوان، والنظر في الكتب، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تمتلئ غمًا»[٢].

ثانيًا: تفسير الحكيم الترمذي لهذا الحديث مردود؛ لمعارضته الأحاديث الواردة في النهي عن تمني الموت مثل: حديث أنس: «**لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به**»[٣] ، وقد كره الموت سادات المؤمنين فقالت: عائشة -رضي الله عنها- للنبي -ﷺ- وهي تقرر هذه الحقيقة المشتركة: «كلنا يكره الموت» وأقرها على ذلك المصطفى [٤]-ﷺ- .

وقد ثبت أن كليم الرحمن موسى بن عمران -عليه السلام- لطم ملك الموت حينما أراد قبض روحه[٥]، وثبت في الحديث القدسي: «**ما ترددت**

---

(١) «الفتاوى» (٣٧٣/١١).
(٢) «تلبيس إبليس» (ص٢٦٠).
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) متفق عليه.

في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته»[١].

فهذا مؤمن من أولياء الله يكره الموت الذي سماه الله مصيبة فقال: ﴿**فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ**﴾ فهل يتصور أن عاقلًا يتمنى الموت إلا لعارض خوف فتنة في الدين كما يكون آخر الزمان.

وأما معنى الحديث: فإن المؤمن وإن كان من المنعمين في الدنيا فهو في سجن بالنسبة إلى الجنة، كما أن الدنيا جنة للكافر وإن كان من البائسين بها بالنسبة إلى النار[٢].

وفيه وجه آخر حيث إن الإسلام حابس له بمنعه من كل شيء لا يبيحه له الإسلام، والإيمان قيده في ذلك الحبس، يحول بينه وبين الحركة فيما لا يطابق إيمانه عن أمر من أمر ربه، فإذا خرج المؤمن من هذا الحبس إلى دار الإباحة كان في صورة من انتقل من السجن إلى السعة، وهي جنة الكافر، ومن حيث إنه لا يرد عن شهواته فيها شرع، ولا يقيده إيمان، ولا يرعه ذكر أخرى، فينتقل من السعة إلى الضيق، ذلك معنى الحديث[٣].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) «المفاتيح «شرح المصابيح»» (٢٧٤/٥) و«شرح المشكاة» و«شرح المصابيح».

(٣) «الإفصاح» (١٧٩/٨) ينظر «شرح النووي لصحيح مسلم» (٩٣/١٨) و«إكمال المعلم» (٥١١/٨).

تمت بحمد الله

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتب

سليمان بن عبد الله البهيجي



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة